عــود الــنــــد

مجلة ثقافية فصلية

ISSN 1756-4212

الناشر: د. عدلي الهواري



قراءة في قصيدتي رثاء بغداد والبصرة

ملف: أونروا-اللاجئون الفلسطينيون

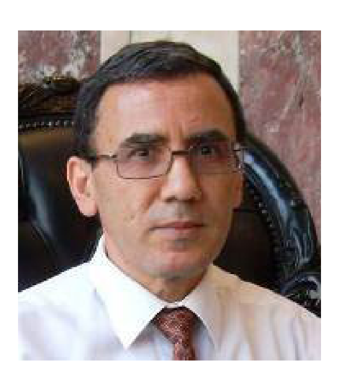
الاستفتاء الشعبي الذي شرخ المجتمع

المحتويات

كلمة العدد الحادي عشر - د. عـدلي الهواري

الاستفتاء الذي شرخ المجتمع

خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي



العصبية القومية ليست مقتصرة على أمّة دون غيرها. وظاهرة صعود التيارات اليمينية في أوروبا وأميركا الشمالية والجنوبية انعكاس لهذه العصبيات التي بدأت منذ سنوات تنمو وتسعى إلى تولي الحكم حيثما تستطيع. ومن أهم نجاحاتها تولي دونالد ترمب الرئاسة في الولايات المتحدة، وانتخاب المرشح اليميني، جاير بولسونارو، رئيسا للبرازيل.

العصبيات القومية لها حضور قوي في أوروبا في الوقت الحاضر، وهذا ليس مستغربا، فهي القارة التي نشأت فيها الفاشية والنازية، وشهدت حربين عالميتين في قرن واحد.

في عام 1999، حقق حزب نمساوي يميني بزعامة يورغ هايدر نتائج جيدة في الانتخابات تمكنه من تشكيل حكومة بائتلاف مع حزب آخر. ولكن الدول الأوروبية الأخرى طوقت هذا النجاح، فقرر هايدر التخلي عن تشكيل حكومة برئاسته. وبعد أن كان اليمين في فرنسا قوة صغيرة، تحول في السنوات الماضية إلى قوة كبيرة قادرة على المنافسة المؤثرة في انتخابات الرئاسة.

وموقف الدول الأوروبية تجاه استقبال اللاجئين من سورية تحديدا، وغيرها من الدول، كان حديث الساعة في السنوات القليلة الماضية.

بريطانيا (المملكة المتحدة) بلد مكوّن من اتحاد أربع أمم: الإنجليزية

والاسكتلندية والويلشية وبعض الأيرلندية. ورغم صغرها جغرافيا وسكانيا إلا أنها تمكنت من التحول إلى إمبراطورية، وسيطرت على مناطق كثيرة من العالم، إلى درجة التفاخر بأنها إمبراطورية لا تغيب عنها الشمس. ولكنها واجهت المصير الذي آلت إليه الإمبراطوريات التي سبقتها.

من مظاهر العصبية القومية في بريطانيا وجود تيار معاد للتقارب مع الدول الأوروبية، فهؤلاء لا يعتبرون بريطانيا جزءا من أوروبا، رغم قصر المسافة بين ساحلي بريطانيا وفرنسا. ونجح هذا التيار في إخراج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي عندما حدث استفتاء حول ذلك في عام 2016، وكانت النتيجة فيه متقاربة، ولكنها لصالح الخروج (52% خروج، مقابل 48% بقاء).

عانت أوروبا من حربين عالميتين. ولتفادي تكرار الحروب نتيجة التنافس على المصالح، بادرت بعض الدول الأوروبية في عام 1957 إلى توقيع معاهدة روما لإقامة مجموعة اقتصادية من سماتها حرية الحركة للسلع والخدمات والعاملين. انضمت دول أوروبية أخرى للمعاهدة.

في عهد زعيم حزب المحافظين، رئيس وزراء بريطانيا الأسبق، إدوارد هيث، انضمت بريطانيا إلى المجموعة الاقتصادية الأوروبية في عام 1973، وجرى في عام 1975 استفتاء شعبي على قرار الانضمام، وكان التصويت في صالح الانضمام بنسبة 67 في المئة، أي ثلثي الناخبين. ولكن عداء الثلث الآخر لهذا القرار لم يفتر، وظلت العلاقة مع أوروبا مسألة جدل ساخن حزبيا وشعبيا، وخاصة أثناء الحملات الانتخابية.

تطورت العلاقة بين الدول الأوروبية الأعضاء في هذا التجمع الاقتصادي إلى أن أصبح اسمه الاتحاد الأوروبي. ورغم صفة «اتحاد» إلا أن كل دولة مستقلة في جيشها وسياستها الخارجية، رغم وجود بعض التنسيق. وتتشابه القوانين في المجالات الأخرى. وأوضح مظاهر الاتحاد حرية تنقل المواطن من دولة إلى أخرى وكأنها دولة واحدة، واستخدام عملة موحدة، يورو. ولكن بريطانيا فضّلت مواصلة التعامل بعملتها، الجنيه.

لمعارضي عضوية بريطانيا في الاتحاد الأوروبي وجود قوي في حزب المحافظين، ولم يكفوا عن التحريض على فك الارتباط مع الاتحاد. وظلت العلاقة مع الاتحاد الأوروبي مسألة نزاع داخلي في الحزب منذ تولي مارغريت ثاتشر زعامة الحزب ورئاسة الوزراء. واستقال مايكل هزلتاين

من حكومة ثاتشر نتيجة الخلاف على مصير شركة بريطانية لصنع طائرات الهلوكبتر. هزلتاين، الذي كان وزيرا للدفاع، أراد دمج الشركة مع ائتلاف شركات أوروبية. وثاتشر رجّحت كفة اختيار الدمج مع شركة أميركية.

ومنذ استقالة ثاتشر في عام 1990 تولى زعامة الحزب كل من جون ميجور، ووليام هيغ، وإيان دنكن سميث، ومايكل هوارد، وديفيد كاميرون، وتيريزا ماي. تمزق الحزب أفسح المجال في عام 1997 لفوز حزب العمال بزعامة توني بيلر، الذي أبعد الحزب عن موقعه الإشتراكي الذي عرف به في الماضي. وعندما انتقلت زعامة حزب المحافظين إلى ديفيد كاميرون، وعد بإجراء استفتاء شعبي على مسألة الخروج من الاتحاد الأوروبي.

نفذ كاميرون وعده، وأعلنت النية على إجراء استفتاء على البقاء أو الخروج، فتشكلت الحملات الداعية إلى البقاء والخروج. وجرى الاستفتاء يوم الخميس 23 حزيران (يونيو) 2016. كاميرون شخصيا كان مؤيدا للبقاء، ولذا استقال من رئاسة الحكومة وزعامة حزب المحافظين فور الإعلان عن نتيجة الاستفتاء. وخلفته في منصبيه تيريزا ماي، فوفق النظام السياسي البريطاني، يتولى رئاسة الوزراء زعيم الحزب الفائز بأغلبية مقاعد مجلس العموم، أو بالعدد الأكبر من المقاعد إذا تمكن من التحالف مع حزب آخر للحصول على أغلبية في المجلس، كما هو حاصل الآن.

الاعتراض على العلاقة مع الاتحاد الأوروبي كانت تأتي من اليساريين أيضا، ومآخذ هؤلاء على الاتحاد تنقسم إلى قسمين، أولهما أن هيئاته ليست منتخبة، وثانيهما أن الاتحاد يخدم مصالح الشركات الكبرى العابرة للقوميات.

تميزت الحملة الداعية إلى الخروج بالترويج لأمور غير صحيحة، من أشهرها الادعاء أن بريطانيا تدفع للاتحاد الأوروبي 350 مليون جنيه، وسيكون من الأفضل استخدام المبلغ في تمويل قطاع الصحة، الشهير بتقديم الخدمات الطبية مجانا حتى الآن رغم المحاولات المتكررة لإعادة هيكلته وخصخصته. وفي هذه الأجواء المحمومة، قتل أحدُ المتعصبين النائب جو كوكس، وهي من مؤيدي حملة البقاء.

وبعد تكاثر الحديث عن تأثير روسي على انتخابات الرئاسة الأميركية في عام 2016، وكشف النقاب عن استخدام تطبيق عبر فيسبوك للتأثير على الناخبين الأميركيين، ذكر أيضا أن الأسلوب نفسه استخدم في بريطانيا أثناء

الحملة التي سبقت الاستفتاء على الخروج، فقد جرى الترويج لفكرة أن التصويت من أجل البقاء في الاتحاد الأوروبي هو الأقوى، وذلك لجعل المؤيدين للبقاء يتقاعسون عن التصويت لأنهم يتوهمون أن النتيجة محسومة لصالح البقاء.

جاءت نتيجة الاستفتاء الشعبي لصالح الخروج، ولكن الفارق بين الأصوات كان ضئيلا. وصدرت فورا مطالبات بإجراء استفتاء شعبي جديد نتيجة تقارب الأصوات. وبالإضافة إلى اختلاف الآراء بين الأفراد بشأن الخروج أو البقاء، كان التصويت في اسكتلندا وإيرلندا الشمالية لصالح البقاء، وكذلك الأمر في العاصمة لندن.

ونشأت تعقيدات أخرى بشأن الحد الفاصل بين إيرلندا الشمالية، المتحدة مع بريطانيا، وجمهورية إيرلندا، فالعضوية في الاتحاد الأوروبي سهلت عدم وجود مراكز حدودية رسمية بين إيرلندا الشمالية وجمهورية إيرلندا. (حدثت ترتيبات خاصة بين إيرلندا الشمالية وجمهورية أيرلندا في عام 1998 بمقتضى اتفاقية لحل النزاع المسلح في أيرلندا الشمالية بين الراغبين في البقاء ضمن المملكة المتحدة والساعين إلى إعادة أيرلندا الشمالية إلى جمهورية أيرلندا).

كذلك كان لقرار الخروج تأثير سلبي على قيمة العملة البريطانية، الجنيه الاسترليني، مقابل العملات الأخرى، وأرادت المتاجر الكبرى رفع أسعار السلع لأن كلفة الشراء بالجنيه ارتفعت. ومن يحوّل لأهله مالا في الهند أو باكستان أو الدول العربية وغيرها من الدول صار عليه أن يرسل جنيهات أكثر من ذي قبل لكي يصل أهله المبلغ ذاته.

كفرد يعيش في بريطانيا منذ سنوات، كنت ألمس ميزات عضوية بريطانيا في الاتحاد الأوروبي، وعلى رأسها السفر إلى جميع دول الاتحاد دون الحاجة إلى تأشيرة، وعدم التوقف لختم جواز السفر عند الدخول أو المغادرة. وبفضل قوانين الاتحاد الأوروبي بشأن حقوق العمال، أصبح من حق العامل رفض العمل أكثر من 48 ساعة أسبوعيا، ومن لا يتنازل عن هذا الحق، لم تكن مؤسسة العمل تستطيع إجباره على عمل إضافي. وقد حماني التمسك بهذا الحق من قرارات المدراء التعسفية بشأن القيام بنوبات عمل إضافية في أيام عطلتي.

لا أحد يعرف الآن كيف سيكون الوضع الاقتصادي بعد خروج بريطانيا الرسمي من الاتحاد الأوروبي. مؤيدو الخروج والقطيعة مع الاتحاد لديهم تصورات وردية لما ستؤول إليه الأوضاع. ولكني لا أصدق هذه الوعود،

فالحديث عن «استرجاع حدودنا» مثلا يوحي بأن المجيء إلى بريطانيا كان سهلا، وهو ليس كذلك. ومن يرفض فكرة تطبيق قانون لحقوق الإنسان في بريطانيا يثير مخاوف الكثير من الناس، علما بأن تطبيق هذا القانون كان بسبب العضوية في الاتحاد الأوروبي.

أحدث الاستفتاء الشعبي على المسألة شرخا في المجتمع لا يزال مستمرا. ومن المفارقات أن النظام السياسي في بريطانيا لا يحبذ الاستفتاءات. ويترك اتخاذ القرارات لمجلس العموم (النواب) الذي ينتخبه الشعب. ولو ظل الجدل حول عضوية بريطانيا محصورا في مجلس النواب، أو داخل الأحزاب السياسية لاقتصرت آثار النزاعات على الأحزاب نفسها، ولما تأثر الوضع الاقتصادي، ولما أصيب المجتمع بشرخ عميق ظهرت بسببه عصبية قومية، وتفاوت كبير بين عقلية الأجيال الجديدة والقديمة.

قد يجد أحد في الدول العربية في مثال الاستفتاء الشعبي في بريطانيا دليلا على أن الديمقراطية لها سلبيات، ولذا من الحكمة حماية المجتمع من شرخ كهذا بعدم ممارسة الديمقراطية في الدول العربية وغيرها. النظام الديمقراطي عيوبه كثيرة. ولكن مزاياه تحمي المجتمعات من الركود الفكري والسياسي. في النظام الديمقراطي لا احتكار للحقيقة أو الرأي الصواب. ويظل تنافس الأفكار مستمرا من أجل الوصول إلى وضع أفضل.

د. عريب محمد عيد

قراءة في قصيدتي رثاء بغداد والبصرة

الخريميّ في رثاء بغـــداد وابن الرّوميّ في رثاء البصــرة: قراءة في قصيدتين

الخريميّ: أبو يعقوب إسحاق بن حسّان قوهي الصّفديّ. شاعر عاش في العصر العباسيّ. اشتهر برائيّته الّتي وصف بها الفتنة بين الأمين والمأمون في 135 بيتا.

ابن الرّوميّ: أبو الحسن عليّ بن العبّاس بن جريج. شاعر من العصر العبّاسيّ. تأثّر بما أصاب مدينة البصرة من خراب على أيدي الزّنج سنة 275هـ، فكتب هذه القصيدة يصوّر ما لحق بالمدينة من تخريب.



يعدّ رثاء المدن من الأغراض الأدبيّة المحدثة في العصر العباسيّ، فلم يكن للشّاعر في العصر الجاهلي مدنٌ يُبكى على خرابها، ولم يزدهر هذا النّوع من الرّثاء في المشرق ازدهاره في الأندلس؛ وذلك لطبيعة التقلّبات السيّاسيّة في الأخيرة، فقد كانت أشدّ حدّة وأسرع توترا، ومواكبة لحركة الإيقاع السياسيّ، فالشاعر يرصد الأحداث مستنبطا الدّواخل ومقوّما الاتجاهات.

ويقوم هذا الشّعر على المقارنة بين الماضي والحاضر، ماضي الإسلام بمجده وعزّه، وحاضره في ذلّه وهوانه. وقد كان الشّعر العربيّ مُحافظا،

يرمي إلى إعادة الشّعر العربيّ إلى تقاليده الموروثة؛ لتأتي ثورة المحدَثين في محاولتهم إبعاد إعادة القصيدة العربيّة إلى سابق عهدها من بداوة وحوشية وغلظة، ومحافظا على نهج القصيدة ولغتها وموسيقاها وقيمها، مجدّدا في معانيها وصورها وأسلوبها، في محاولة لتقديم الجديد.

لقد جاء شعر رثاء المدن في العصر العباسيّ يمثّل موقفا جديدا لشاعر العصر، فرضته الظّروف في المدينة، وارتباطه الوجدانيّ بها، إلى جانب الأحداث والظّروف السّياسيّة الدّاخليّة الّتي عرفها ذلك العصر؛ إذ لم يكن في تراثه الشّعريّ القديم تقاليد فنيّة راسخة تمثّل هذا النّوع من الرّثاء، فكان على الشّاعر أن يعوّل على نفسه في ابتكار الأُطر المعنويّة والفنيّة الّتي يصوغه فيها.

فجاءت قصيدة رثاء المدن لتصوير أحداث في عصر الخلفاء العباسيّين من فتن وثورات داخليّة مثل قصيدة الخريميّ في رثاء بغداد، بعد فتنة الأمين والمأمون سنة 197 هـ، وقصيدة ابن الروميّ في رثاء البصرة أيام المهتدي بالله العباسيّ سنة 255 هـ، الّتي قام بها علي بن محمّد الوزنيين العلويّ، الملّقب بصاحب الزّنج.

هذه الأحداث المسجلّة في بنائها الشعريّ الّتي عاصرها الشّاعران كانت من الأعمال الكبرى الّتي ينهض بها الخلفاء، ويضطلع الشّاعر العباسيّ في تسجيلها، ممّا يجعلها وثيقة تاريخيّة ناطقة بواقع الحال، وكأنّ الشّاعر في رثائه شاهدُ عصر، يحاول أن يجسّد معاني وطنيّة وسياسيّة ودينيّة، تصطبغ بطابعه الفكريّ، وطريقته في التّعبير، متأثرا بملامح بيئته الحضريّة الّتي يرسمها بصوره الموحية ومعجمه اللّفظيّ.

بدأ الشّاعران في وصف ما حدث في كلتي المدينتين: بغداد والبصرة دون مقدّمة طلليّة؛ ليبدأ الخريميّ قصيدته بقوله «قالوا»:

= قالوا : ولم يلعب الزّمان بـ (بغـ = = ـداد) وتعثُرْ بها عواثرُها

فكان بذلك في مستهلّها كأنّه راو يروي لنا قصّة بغداد، بادئا بوصفها قبل الفتنة، فقد كانت عروسا جميلة في مظهرها ومخبرها، فهي في نعيم، وأهلها في حياة ناعمة، ويقول مستمرا في هذا الوصف في الأبيات العشرة الأولى تقريبا:

= إذ هي مثل العروس باطنها = = مشوق للفتى وظاهرها

وكأن الخريميّ في قوله «قالوا» يخرج نفسه ممّا قيل أو ممّا يمكن أن

ينسب الحديث إليه، فيغلّب ضمير الغائبين على المتكلم، وكأنّه يخرج من دائرة القول لينسبها إلى غيره، وكأنّ ذلك يوهم أنّ بغداد ليست مدينته، مع أنّه استخدم ضمير المتكلمين في البيت الخامس عشر:

= أورد أملاكنا نفوسهَم = = هوّة غيّ أعيت مصادرها

بينما نجد ابن الروميّ يبدأ بوصف حال البصرة قبل تخريبها بعد اثني عشر بيتا، ودون تفصيل، واضعا نفسه في قلب الحدث، ومتأثرا به، فتندغم الذّات الفرديّة في الهمّ الجماعيّ، مستخدما ضمير المتكلم، موحيا باللّحمة الّتي تتشكّل بين الشّاعر والبصرة.

ثمّ إنّ أبياته تفيض بالحزن واللّوعة والأسى، فهو لا يطيق النّوم، لأنّه متألّم ومتحسّر لما حلّ بالبصرة ، ويقول:

= ذاد عن مقلتي لذيذ المنام = = شغلها عنه بالدّموع السّجام

= لهف نفسي عليك أيّتها البصـ = = ـرةُ لهفا كمثل لهبِ الضّرامِ

فابن الروميّ يبكي راثيا حال البصرة ومتأثرا ومستخدما أسلوب التّكرار في المفردات والتّراكيب مثل: (لهف نفسي)، بقوله:

= لهف نفسي يا قبة الإســـــ = = ـلام لهفا يطول منه غرامي

ويكرّر أيضا (كم) الخبريّة في تصويره لما حلّ بالبصرة في مشاهد متتالية، مبيّنا ما فعل الزّنج بالطّاعم والشّارب والكبير والصّغير والرّجال والنساء، ويقول:

= كم رضيع هناك قد فطموه = = بشبا السّيف قبل حين الفطام

= كم فتاة مصونة قد سبَوها = = بارزا وجهها بغير لثـــام

وأيضا تكرار (من رآهن) (ما تذكرت) (رُبَّ) (أين). ولعلّنا نبيّن أنّ قصيدة الخريميّ لا تخلو من التّكرار في وصفه بغداد:

= وهل رأيت القصور شارعة = = تكُنّ مثل الدُّمى مقاصرها

= وهل رأيت القرى الّتي غرس الـــ = = أملاك مخضّرة دساكرها

وأحسب أن موازنة الخريميّ بين حال بغداد قبل الفتنة وبعدها فيها شيءٌ من التّفصيل والاسترسال، أكثر ممّا جاء في قصيدة ابن الرّوميّ، فكأنّ الشّاعر الخريميّ لا يعدو كونه واصفا حسبُ، فهو يتوقّف عند تفاصيلُ كثيرة، فيذكر الحدائق اليانعة الّتي كانت بهجة العين وراحة النّفس والقصور الباذخة والقرى المحيطة بالمدينة، والنّخيل والكروم والرّيحان، حتّى أنّه يذكر أحياء المدينة المنكوبة مثل: «زند ورد» و«الياسريّة» و«الشّطين» وغيرها، فيقول:

= وأصبح البؤس ما يفارقها = = إلفا لها والسّرور هاجرها

= بـ «زند ورد» و«الياسريّة» و«الشطّ = = ـطين» حيث انتهت معابرها

ونلمح استخدامه للفظ الفارسيّ المعرّب فيما سبق، وأيضا لفظ «اليلنجوج» الّذي يعني عود البخور:

= بالمسك والعنبر اليمانيّ والـــ = = يلنجوج مشبوبة مجامرها

وأمّا ابن الروميّ، فيربط في وصفه ما حلّ بالبصرة بمشاعر الحسرة والألم والأسى والمرارة الّتي يشعر بها، فالمدينة مدينته، فهو لا يفتأ معبرا عن حالته النّفسيّة المتأثّرة بما حدث في النكبة، فيقول:

= ما تذكرتُ ما أتى الزّنج إلّا = = أحترم القلب أيّما إحترام

= ما تذكرتُ ما أتى الزّنج إلّا = = أوجعتني مرارة الإرغام

ثمّ نجد ابن الروميّ متأثرا بملمح تقليديّ في القصيدة الجاهليّة، وهو مخاطبته صاحبيه اللّذين يتخيلهما، ويحاول أن يستأنس بهما؛ ليخففا عنه هذا الألم، مجسّدا البصرة بإنسان يُسأل؛ لكنّه يقف عاجزا عن الإجابة لهول ما يحدث:

= عرّجا صاحبي بالبصرة الزهــ = = ــراء تعريج مدنف ذي سقامِ

= فاسألاها ولا جواب لديها = = لسؤال ومَن لها بالكلام

وأحسب أنّ نصّ الخريميّ لا يخلو من التّأثر بمعان دينيّة فيها حكمة والتّسليم بقضاء الله وقدره، وإن بدا شامتا، فهو يرى أنّ ما حلّ ببغداد، هو ما

حدث لقوم عاد بصرصرها، مبيّنا أنّ الإنسان لا يعرف ما يخبّئ له الدّهر من حوادثَ تصيبه مرّة أو تجافيه أخرى، فيقول :

= لا تعلمُ النفسُ ما يبايتها = = من حادث الدّهر أو يُباكرها

كما يتصوّر الخريميّ أنّ ما أصاب بغداد هو بظلم أهلها لأنفسهم، فهو عقاب لهم، تصوّر قد يُقبل أو يردّ، يقول :

= أمهلها اللهُ ثمّ عاقبها = = لمّا أحاطت بها كبائرها

= حلت ببغداد وهي آمنةٌ = = داهية لم تكن محاذرها

ثمّ يقول إنّ الموازين انقلبت، فغدا العبدُ سيدا والحرةُ عبدة، فتغيّر الحال:

= حَطَّم العبدُ أنفَ سيّده = = بالرّغم، واستعبدت حرائرها

وأمّا ابن الروميّ فيستنهض الهمم؛ ليلهب حماس القوم لإعادة البصرة، فعليهم أن يغضبوا لما حلّ بها من دمار، داعيا إياهم إلى الدّفاع عن مدينتهم، مدغدغا مشاعرهم الدّينيّة لضرورة الغيرة على محارم الإسلام، فهم أمّة النّبيّ محمّد عليه السّلام، وحقّهم القيام وعدم التّقاعس أو القعود، ليشتروا الجنّة الباقية ودار الخلود، وقد رسم لهم سؤال الله وحسابهم عن تخاذلهم عن الدّفاع عن ديار الإسلام بأسلوب خطابيّ وسؤال مباشر، وعبارات حماسيّة فيها استفزاز مثل: «أدركوا ثأرهم»، « فأقرّوا عيونهم بانتقام»، و«انقذوا سبيهم»، و«بادروه» إلى آخره. ويقول في ذلك:

= يا عبادي: أما غضبتم لوجهي = = ذي الجلال العظيم والإكرام

= أخذلتم إخوانكم وقعدتم = = عنهم، وَيْحكم، قعود اللئام؟

= إن قعدتم عن اللعين فأنتم = = شركاء اللعين في الآثام

ولعلنا نلحظ أثر الشّعوبيّة، كون الخريميّ فارسيا، في قوله:

= أفراخُ نعمى في إرث مملكة = = شدّ عراها لها أكابرها

ثمّ إشارته إلى تعدّد الفئات السّكانيّة من الصّقالبة والأحباش وأهل السّند والهند والنّوبة، بقوله:

= أين الجراديةُ الصّقالب والـ = = أحباش تعدو هُدْلا مشافرها

= بالسّند والهند والصّقالبُ الـ = = نوبة شِيَبتْ بها برابرها

والخريميّ لا يلبث أن يذكر موازنته بين حال بغداد قبل النّكبة وبعدها بصورة قصصيّة وخبريّة الأسلوب، يرويها بشعره، عمّن قالوا أو وصفوا له ما حدث، في صور حركيّة فيها من تراسل الحواس ما يعطي النّصّ نبضه وحيويته، واستغرق ذلك من البيت الأوّل حتّى البيت مئة وخمسة، واصفا صورة الخراب بأبيات تزيد عن الأبيات الّتي وصف بها بغداد قبل النّكبة، ولعلّ دلالة العدد تشي بعظم المأساة في بغداد وفداحة الحدث، ثمّ إنّ الألفاظ الّتي استخدمها موحية وقويّة، توضّح صورة النّكبة، فالخيل تعدو بالأسواق بشاهري السّيوف وحاملي الخناجر، والنّفط والنّيران في الشّوارع والدّروب، وقد انعقد الدّخان سحابات سوداء، واللّصوص ينهبون، والحرائر خرجن من دورهنّ حاسرات الرّأس وناشرات الشّعور.

وأمّا ما يُلاحظ في موازنة ابن الرّوميّ لحال البصرة في صورة مأساويّة بادئا بما حلّ بها من الدّمار، ثمّ واصفا المدينة قبل التّخريب في مشاهد حيّة ومتلاحقة من البيت الأوّل حتّى البيت الخمسين، متفاعلا بإحساسه ومشاعره مع الحدث آسفا عليه.

وإذا كانت قصيدة ابن الروميّ تقوم على الموازنة بين حال البصرة قبل الثّورة وبعدها، ثمّ انتهت بخاتمة طويلة من الأبيات (51-85) تدعو إلى الانتقام وتستنهض الهمم، فإنّ قصيدة الخريميّ الّتي أيضا قامت على الموازنة بين حالين، جاءت لتنتهي المرثية عند البيت (105)، ليبدأ الخريميّ بمدح الخليفة المأمون من الأبيات (106-131) ، ثمّ في الأبيات الأربعة الأخيرة، ختم القصيدة مبيّنا سبب مدحه، بأنّه لم يبغ منه إلّا النّصيحة والمشورة.

ومن النّاحيّة الفنيّة، فإنّ ابن الروميّ استخدم الأساليب الإنشائيّة في أبياته أكثر من الخريميّ الّتي جاءت أبياته خبريّة في الغالب، وقد استخدم الأخير الجناس والطّباق بشكل واضح في أبياته مثل

= سمت إليه آمال أميّة = = منقادة بُرّها وفاجرها

= و«الكرخ» أسواقها معطّلة = = يستنّ عيّارُها وعاثرها

ولعلّ استخدام الخريميّ ضمير الغائبة (ها) في نهاية قصيدته الّتي جاءت في بحر المنسرح، تعبير عن آهات بغداد الّتي أصابها ما أصابها جراء الفتنة، بينما ابن الروميّ كانت قصيدته في الخفيف وبقافيته الميم المكسورة.

وممّا يلاحظ في شعر رثاء المدن أنّه يفيض بالحزن واللّوعة، ولكنه مع ذلك يكتظّ بالحماسة والقوّة وتمجيد الماضي والاستلهام منه للإفادة منه للحاضر، كما أنّه يُضرم الحميميّة في نفوس الشّباب المسلم للدّفاع عن العروبة حتّى الموت دفاعا يقوم على البأس والبسالة والاستطالة.

فلم يكن رثاء الشّاعرين المدينتين مثل رثائهما الأشخاص، كما أنّ ابن الروميّ ينطلق في رثائه من واقع ذاتيّ محض نتيجة للعلاقات الوجدانيّة المختلفة الّتي تربطه بمدينة البصرة المنكوبة، وليس ذلك للخريميّ، فابن الرّوميّ تجاذبته مشاعر الحبّ والنّقمة معا، فنجد في رثائه الجديد على مستويين يجمعان بين الشّعور الإنسانيّ والتّعبير الفنيّ.

= = =

المصادر والمراجع:

ديوان الخريميّ، جمعه وحققه: علي جواد الطّاهر، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1971.

بكاء الأوطان في قصيدة رثاء بغداد للخريميّ، سهام الصّفديّ، رسالة ماجستير، جامعة خضير بسكرة، الجزائر، 2016.

ديوان ابن الرّوميّ، تحقيق: عبد الأمير مهنّا، ط1، دار مكتبة الهلال، 2001.

ابن الرّوميّ، جورج معتوق، ط2، الشّركة العالميّة للكتاب، 1984.

ديوان ابن الرّوميّ، شرح حسن الشّيخ، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1994.

الشّعر والشّعراء، ابن قتيبة، تحقيق: أحمد شاكر، ط2، دار المعارف، القاهرة.

تاريخ الرّسل والملوك، الطّبريّ محمّد بن جرير، دار المعارف، القاهرة، 1970م، ج3، 4، 7.

زهرة يبرم

أشجار باللون الأزرق



في عمق أريكة مخملية جلست شمس أمام مدفأة تتأمل حفيدها وهو يزين رسوماته بألوان زاهية. وكلما سألها عن لون إن كان يناسب جزئية ما من رسمته، توافقه أحيانا، وأحيانا أخرى تختار له اللون المناسب لكنها تجانب اللون الأخضر بجميع تدرجاته. وما تلبث أن ترفع بصرها وتحدق بنظرة فارغة في اللاّشيء، نظرة المُسَلَّمين لأنفسهم يعيدون حيواتهم بدواخلهم يجترون تفاصيلها.

وتبقى ساهمة مسمّرة على هذا النحو بنظراتها الحازمة ووجهها المستدير الرزين دون أن تظهر على شفتيها الرقيقتين أي ابتسامة، ولو ابتسمت لبدت أكثر جمالا وشبابا.

لها اسم آخر بشهادة الميلاد، أما شمس فقد كنّاها به والدها خلال فترة حرجة مرت بها الأسرة، فكانت شبيهة الشمس، تشرق عليهم دفئا وحنانا ورعاية.

حياتها كابنة مجاهد خاض حربا قديمة، وأرملة مقدم أول قتل في العشرية السوداء، ووالدة نقيب شاب ترافقه أينما حل في تنقلاته المستمرة، أكسبتها صلابة عسكرية. صهرتها قسوة الانضباط من حولها، فجفت طباعها حتى أنها نادرا ما تشتكي. ولما قدّر لابنها الوحيد أن يترمّل، أنار وهج شمسها يتم طفله حيث تكفلت برعايته وتربيه.

وها هي مع انصراف ابنها إلى عمله المثقل بالمسؤوليات والتنقلات صارت تطمح إلى الاستقرار مع الصبي في مدينتها الأم. تريد أن تُصدِّع جدار الرتابة الذي يطوقها، وتصنع لهما حياة مدنية مختلفة.

سئمت الحياة بلون واحد تراه في كل شيء حولها. حاجز المرور أخضر، السور المسيج للمساكن أخضر، البوابة والسيارات، أبواب الغرف وستائر النوافذ، ملاحف الأسرة ومناشف الحمام، البذلة والحذاء وحتى صحون وأكواب المطبخ. تشبعت بالأخضر عبر ثلاثة أجيال حدّ الغثيان.

مع الحفيد انبثق بقلبها شعاع باهت ينير يتم طفل في الخامسة من عمره، أيقظ فيها الأمومة فعادت تحلم مكسّرة رتابة أيامها. لكنها صارمة في مهمة تربيته صرامة نقيب مكلف بتدريب المجندين.

ركزت نظرها عليه وهو لاه بالتلوين، طفل نحيل له وجه فتاة رقيق ووجل، تأْمَلُ أن تصنع منه رجلا على هواها، مختلفا عن كل رجال حياتها. ترغب في أن يدرس وينجح في تخصص مختلف بعيدا تماما عن الحياة العسكرية التي عاشها آباؤه. تريد له عالما بديلا عن هذا الغارق في اللون الأخضر، يكون فيه سيد أوقاته وسلوكاته وتنقلاته وخياراته في الحياة.

وراحت تحلم فيطفو حنو على محياها الصلب المنغلق، ويتوهج قلبها المتـيـبّس فتشع منه بارقة نور. صار الحفيد رجاءها الوحيد تغذيه حاجتها لحياة فسيحة في متطلباتها بهيجة في قيمتها.

وصحت من غفوتها على الصغير يُريها رسمتَه المكتملة، فوجدت أشجاره زرقاء بلون البحر، وأوراق أزهاره بلون السماء.

فنار عبد الغني

لا تبك يا سندريلا

الصغيرة مذعورة، هوت على الأرض، وبدأ سيل الدموع يتدفق منها دون توقف. قلبها الصغير تتلاحق نبضاته، يكاد يثب من بين ضلوعها ويسقطها صريعة. تقترب يده السمراء النحيفة منها وتمتد إليها بكل رقة، يربت على كتفها، لا يدري كيف يساعد هذه الصغيرة التي سيغشى عليها من البكاء. لقد ظهرت هذه الصغيرة في طريقه فجأة، كان يحمل أكياس الخضار والفاكهة بيده اليمنى وعكازه وجريدته باليد اليسرى.

كان يمشي رويدا وبشكل حذر في ذلك الوقت المبكر من النهار، يحافظ على خطواته المتناسقة وتوازنه قدر استطاعته، بينما الصغيرة ذات الجدائل الطويلة، الثقيلة، الذهبية، كانت تركض جذلى ثم تجمدت في مكانها وتبدلت ملامحها واضطربت وانتابتها حالة هلع، اغتالت فرحتها ومزقتها إربا إربا.

اضطرب الأستاذ أحمد بدوره، حاول أن يخفف من روع الصغيرة. كانت بمثل سن طفلته الوحيدة، آية، لكن الصغيرة ازدادت حالتها سوءا. لم تكف عن البكاء، بقيت تشهق وتذرف الدموع الغزيرة الدافئة. رغبت بالصراخ لكن صوتها خانها واختفى بلا رجعة. بدأ صوت أنينها يخنقها، إنها تزداد شحوبا وتكاد يغمى عليها من شدة الرعب.

لقد كانت سعيدة منذ البارحة، عندما ذهبت مع أمها إلى بيت الخيّاطة الذي يقع في منتصف سوق الخضار في المخيم لاستلام ثوبها الجديد. تتذكر كيف وضعت الخيّاطة، كاملة، يدها على يد أمها وضغطت عليها قائلة:

«أنهيت فستان الصغيرة بسرعة قبل أن تقع عليه أعين الزائرات والزبائن. استحلفك بالله، لا تخبري أحدا أنني أنا من صنع هذا الثوب لهذه الصغيرة».

«لماذا يا كاملة تريدين مني إنكار عملك الرائع؟»

«لأنني تعبت وعانيت وأنا أجهز ثوب سندريلا. يا له من تصميم صعب!»

كانت الخياطة كاملة صديقة أمها منذ الطفولة، وهي خياطة ماهرة وذكية، لا يوجد خياطة أخرى في المخيم تنافسها في ذوقها ومهارتها. وهي امرأة بسيطة، تعمل لتعيل أفراد أسرتها. ولأنها صديقة أم آية، قبلت أن تخيط لها ثوب سندريلا الذي أعجبت به آية وكانت تضع صورته تحت وسادتها قبل النوم وتحلم بأنها ترتديه.

كانت الصغيرة تمضي الوقت خلال النهار وهي تحدق بذاك الثوب الذي أخذ بلبها، الأمر الذي دفع بالأم لتشتري قماشا يشبه قماش الفستان الذي ترتديه سندريلا، ثم أمسكت بيد صغيرتها التي أمسكت بدورها بالقصة وذهبتا معا إلى بيت الخياطة التي أنهت بدورها الفستان الجميل خلال يومين.

انتظرت الصغيرة بزوغ الصباح لكي ترتدي ثوبها الجميل الجديد، وتخرج من البيت رغم تحذيرات أمها لها. لكن عينيها اصطدمتا برؤية هذا الرجل الغريب الهزيل، الرجل كان بساق واحدة، وعكاز خشبي طويل يستند عليه وهو يمشي ببطء، حاملا لأسرته زاد يومها من القوت.



كان الأستاذ أحمد يعاون زوجته بجلب أغراض البيت رغم بعد بيتهما عن السوق، وينطلق مبكرا قبل أن يزدحم السوق وتعج الطرق بالناس وتعيقه عن الحركة، وقبل أن يأتيه الصبية الذين يدرسون عنده دروسا خاصة.

كان الأستاذ أحمد ناظرا في إحدى المدارس الابتدائية، لكنه تقاعد عقب حادثة قنص، كان يحاول فيها أن ينقذ فيها أحد الأطفال، فأصابته شظية أودت بساقه وأفقدته عمله.

فرح الأستاذ أحمد لرؤية الصغيرة فرحة بثوب جديد في مثل هذا اليوم العادي الذي لم يكن يوم عيد، بل يوم فرح خاص على ما يبدو بهذه الصغيرة المزهوة بثوبها الجميل والتي تحلق عاليا وبخفة. لا شك أنها غالية وعزيزة على أهلها.

لكن رؤيتها له بددت فرحتها وأقعدتها على الأرض واجتاحتها نوبة من البكاء والرعب. كان جسدها الصغير الهزيل الشاحب كحبة السفرجل الناضجة ينتفض هلعا وهو يحاول تهدئتها:

«لا تبك يا عمّو. لا تبك يا قمّورتي».

لكن القمّورة ازدادت بكاء ووضعت يديها فوق وجهها، ثم سمعت صوت عكازه الخشبي وهو يتحرك ببطء حتى اختفى.

رفعت يديها عن وجهها، كان الزاروب فارغا، والرجل ذو الساق الواحدة قد انسحب بعينين دامعتين ليترك للصغيرة فرصة لتتنفس وتعود لبيتها.

عندما عادت الصغيرة للبيت، احتضنتها أمها ومسحت لها دموعها:

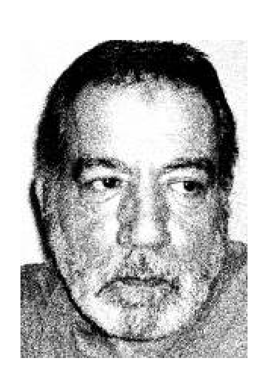
«ماذا حدث لك يا صغيرتي؟ لماذا تلوث فستانك الجديد؟ هل دفعك الأولاد على الأرض؟ ألم أنبهك؟ ألم أحذرك ألا تخرجي إلى الحارة بفستانك الجديد؟ ألم أخبرك بأن أولاد الحارة سوف يصابون بحرقة وحسرة عندما يرونك؟ لن ترتدي هذا الفستان قبل أن يحل العيد، ويشتري الأولاد ملابس جديدة».

صمتت الصغيرة ولم تخبر أمها شيئا. كبرت الصغيرة وظلت تحلم بذلك الرجل ذي الساق الواحدة وهو يقول لها: «لا تبك يا عمّو، أنا ما بخوّف».

كانت لا زالت تشعر بدموعه الدافئة وهي تنحدر ببطء على شعرها الأشقر الطويل ووجنتيها كلما نهضت من النوم.

زكي شيرخان

المحتال



= سعد حسن، سعد حسني، سعد حساني، أيهم أنت؟
ارتسمت على شفتيه ابتسامة استهزاء.
= جميعهم إذا أضفت سعد حسون.
= هيا معنا.
= إلى أين؟
= الجحيم، أظنك لم تتشرّف بزيارته.
رفع حاجبيه، وأوسع فتحة عينيه، ومط شفتيه دهشة.
= أهناك جحيمان؟
= ماذا تقصد؟
= أنا قاطن فيه.

جرّه من ذراعه، ودفع به إلى داخل سيارة سوداء حديثة. اتخذ مكانه على المقعد الوثير. تفحص بنظره بطانة السيارة المخملية. ضغط بكفيه على المقعد يقيس درجة طراوته. مال برأسه نحو اليمين واليسار ليرى من الفتحة بين المقعدين الأماميين ما تحويه مقدمة السيارة المواجهة للسائق من شاشات وأزرار.

= ترى كم سعر هذه السيارة؟
أجابه السائق بلا مبالاة:
= مئتا ألف دولار.
افتعل ضحكة تقصّد أن يسمعها من هما في الأمام.
= أضيفت ميزة أخرى لما املكه، ركوب سيارة بما يزيد سعرها عن مئتي مليون دينار.

* * *

أُدخل إلى بيت لم ير مثله إلا في الأفلام. الصالة حوت من الأثاث أفخره، ومن التحف أغلاها، ومن الستائر أجودها. في صدرها جلس رجل على كرسي كأنه عرش، يرتدي جبة وقفطانا رماديتين، ويعتمر عمة سوداء. لم يلتقيه من قبل لكنه يعرفه بحق. هو أحد الزعماء الذين كثيرا ما يطلون على عباد الله من على شاشات القنوات الفضائية.

خمّن، أو كاد يعرف، سبب جلبه بهذه الطريقة إلى هنا. همس أحدهم بأذنه آمرا:

= تقدّم، وقبّل يده.

نفّذ الجزء الأول من الأمر. هو لم يعتد، أو بالأحرى يستنكف تقبيل الأيادي.

= السلام عليكم.

= ألمْ تُحذّر سابقا من التحدث باسمنا، والكف عن الادعاء بانتمائك لنا؟

= نعم أكثر من مرة، وبأكثر من طريقة.

= إذا؟

= أريد أن أعيش. جربت أعمالا كثيرة مما يطلق عليه أعمال شريفة فلم أفلح، أو بالأحرى ظل العوز يلازمني، فالأجر الذي أتقاضاه لم يكن يسد حاجاتي البسيطة. قررت أن أنتمي لكم دون أن ألزم نفسي بما تملوه عليّ. وجدت في النفوس معينا لي.

كما تعرف، الفقراء والمساكين في ظل هذه الأوضاع المزرية يلجئون إلى خلاص حتى لو كان وهميا. يتبركون بخرقة خضراء مسته يدكم، أو قطعة من عباءة كانت يوما على أكتافكم، أو حفنة من تراب داستها أقدامكم، أو ثمرة مقتطفة من حدائقكم الغنّاء؛ والطامعون يظنون أن هذه تزكّي سوء أعمالهم. أيٌّ من هؤلاء أو أولئك لا يستطيع أن يثبت أن الخرقة، أو قطعة العباءة، أو ثمرة الحديقة هي ليست مما تبرّكتْ بكم؟ الناس يصدّقون ما يسمعون بعد أن أريهم صورا، ركّبها لي شاب من معارفي، وأنا أسير إلى جانبك أو خلفك. أشرب الشاي معك في جلسة استرخاء بعد يوم مضن في اجتماعات متواصلة للبحث في شؤون الناس واحتياجاتهم. وأنا أستقبلك بعد سفرة ميمونة لدولة جارة وقد بحثت مع مسؤوليها شأن المنطقة.

= تكسب رزقك بالتحايل؟

= على قدر فهمي المتواضع للدين، فإن الذنوب درجات، وعقوبة كل درجة

بقدر ضررها. أظن أن التحايل أهون من اغتصاب أموال الآخرين، وأبسط من السرقة واختلاس المال العام، والإثراء غير المشروع، وأن أتحايل على عشرات ومئات الأشخاص لهو أهون من خداع مئات الألوف من البشر أو ملايينهم. أنا لا أبيع إلا للأغنياء أو من يريد أن يغتني من حرام، أما الفقراء فلا أحرمهم البركة، أهديهم إياها.

= كان بإمكانك مراجعة مكاتبنا ووكلائنا لمساعدتك فنحن في خدمة الفقراء والمساكين والمعوزين.

= أو تظن، يا مولانا، أني لم أفعل؟ عندما عرضت أمري عليهم، أجابوني بأن غيري أحوج. العمر لم يتقدم بي. صحتي على ما يبدو جيدة. بنيتي قوية. عليّ أن أكسب بكدي وعرقي وهو أبرك وأزكى. هذا ما أجابوني.

= أتؤدي واجباتك الدينية؟

= بتمامها وكمالها وعلى قدر استطاعتي.

فهم علامات الاستغراب على وجه محدثه، ولولا خشيته من العواقب لضحك كثيرا، واستهزأ أكثر، ولأسمعه من القول ما لم يقله من قبل.

= إثناء الحرب، كان معي مُجنّدٌ توطدت علاقتي به. سألني يوما عن دوامي على الصلاة إن كانت خوفا من الموت، أم ظنا مني أنها تحفظني من الإصابة. كان جوابي أن لا هذا ولا ذاك، بل قناعتي بوجوبها بغض النظر عن الظروف. كنت أعرف أنه في قرارة نفسه كان من المستهزئين. رأيته قبل سنوات مرتديا جبة وعباءة ووضع على رأسه عمة بيضاء. ومن المؤكد أنه يرتقي المنابر ليحاضر في تمام الوضوء، وكمال الصلاة، وفضل الأئمة والصحابة، ويعنعن لإثبات صحة الأحاديث والأقوال التي يستشهد بها.

= يبدو أن الحديث معك غير مُجّد فقد تماديت في غيك، ولكن حذار فعاقبتك سوء. لا تدفعنا لمسلك لا ترضاه.

= أأستطيع الانصراف؟

اكتفى بإشارة من يده. بهره فص الخاتم الذي طوق بنصره. وَدَّ لو حاز عليه. سيُدفع فيه مبلغ لم يحلم به حتى. ابتسم واستدار قافلا. هذا منفذ آخر للكسب. بيع خواتم تشرفت بمس أنامل مولانا.

وهو يجتاز الممر الطويل في حديقة القصر، لمح نافورة على يمينه، يعزف خرير ماءها قطعة موسيقية مملة. لمعت في ذهنه فكرة أن يبيع ماءا في قنان صغيرة سيخبر مشتريها أنها قطرات من وضوء مولانا، شُربُها يقضي على أشد الأمراض استعصاء على الشفاء.

= ما أكثر منافذ الكسب!

قالها بصوت خفيض لم يسمعه حتى حراس البوابة المدججين بأسلحة لا يعرف منشئها، ولكنه يعرف حق المعرفة فعلها.

ملف: أونروا
اللاجئون الفلسطينيون

جابر سليمان

مختارات: أزمة وكالة الغوث، الأونروا

وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل لاجئي فلسطين في الشرق الأدنى، أونروا (UNRWA)، هيئة أسستها الأمم المتحدة في عام 1949، أي بعد شهور من حدوث نكبة فلسطين في عام 1948، ممثلة في قيام دولة إسرائيل على معظم أراضي فلسطين وتشريد أهالي العديد من المدن والقرى الفلسطينية الذين اضطروا للجوء إلى ما بقي من الأراضي فلسطينية في الأيدي العربية وإلى الدول العربية المجاورة.

قدمت الوكالة للاجئين الفلسطينيين مواد تموينية وخدمات صحية وتعليمية. وكل من سجلته الوكالة بصفة لاجئ له وفق القانون الدولي حق العودة إلى وطنه، وهذا منصوص عليه في قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 194 الصادر في كانون الأول (ديسمبر) 1948.

بعد تولي دونالد ترمب رئاسة الولايات المتحدة الأميركية في عام 2017، كثر الحديث عن «صفقة القرن»، أي حل نهائي للقضية الفلسطينية. وضمن تصور ترمب للحل الذي لم تكشف تفاصيله حتى الآن، قرر نقل السفارة الأميركية من تل أبيب إلى القدس في أيار (مايو) 2018. وفي 31 آب (أغسطس) 2018، أعلنت الولايات المتحدة توقفها عن تقديم تمويل للوكالة.

الباحث الفلسطيني المختص بشؤون اللاجئين، جابر سليمان، أعد لمركز الزيتونة للدراسات (بيروت) ورقة عن الأزمة التي وضعت فيها الوكالة، واستعرض فيها ثلاثة سيناريوهات، الأول يفترض تمكن الوكالة من تجاوز الأزمة المالية من خلال الحصول

على مصادر تمويل بديلة. أما السيناريو الثاني فيفترض فشل الوكالة في سد العجز، وتجفيف مصادر حصولها على تمويل، بحيث تصبح غير قادرة على القيام بدورها. أدناه السيناريو الثالث وتوصيات مقترحة من الباحث.

أزمة الأونروا الراهنة: السياق والأبعاد وسبل المواجهة

السيناريو الثالث



يفترض هذا السيناريو نجاح الولايات المتحدة و»إسرائيل» في تغيير أو تحويل «تفويض» الأونروا المحدد بالقرار 302، عبر الحصول على موافقة من الجمعية العامة للأمم المتحدة على دمج هذا التفويض ضمن صلاحيات المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، الأمر الذي يعني عمليا إلغاء القرار 302. وهذا ما يعيد النقاش في الجمعية العامة مجددا إلى المخاض السياسي الذي ولدت في إطاره الأونروا، والى المباحثات التمهيدية التي أدت إلى إقرار معاهدة 1951 الخاصة باللاجئين وتأسيس المفوضية، إذ رفضت الدول العربية المعنية، آنذاك، إدراج اللاجئين الفلسطينيين ضمن حماية المفوضية، وأصرت على خصوصية وضعهم وتمايزه، باعتبار أن حق العودة المكفول بقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 194 يسمو فوق مزايا الحماية التي يمكن أن توفرها لهم الاتفاقية وأداتها التنفيذية، أي المفوضية [27].

إن ما يغري الولايات المتحدة و»إسرائيل» للمضي قدما في هذا السيناريو، في إطار رؤية إدارة ترامب الاستراتيجية للمنطقة المتطابقة مع الرؤية الإسرائيلية، هو وجود سابقة في هذا الصدد، حين تمكنتا سنة 1991 من إلغاء قرار الجمعية العامة 3379/1975 الذي ساوى الصهيونية بالعنصرية.

بيد أن هناك عقبات أساسية أمام تنفيذ هذا السيناريو وتتمثل في:

=أ= وعي اللاجئين أنفسهم لمخاطر مخططات تصفية قضيتهم وإصرارهم على مقاومتها، بناء على تجربتهم التاريخية في خمسينيات وستينيات القرن العشرين، التي تمكنوا من خلالها إفشال كل مخططات التصفية والتوطين.

=ب= إلغاء القرار رقم 3379 سنة 1991 حصل حينها في ظلّ الأجواء المتفائلة بإمكانية تقدم «عملية السلام» بعيد إطلاق مؤتمر مدريد وقبيل توقيع اتفاقات أوسلو. وتلك الأجواء مختلفة تماما عن الأجواء القاتمة الراهنة التي تشهد فشلا ذريعا لـ»عملية سلام أوسلو».

=ج= إدراك الولايات المتحدة و»إسرائيل» أنه ليس من السهل إلغاء القرار 302/1949، لأن الجمعية العامة التي أنشأت الأونروا هي وحدها المخولة بإلغائه. فضلا عن أن هذه الخطوة لا تتوافق مع رغبة غالبية الدول في الجمعية العامة، بما في ذلك بعض الدول الحليفة لأمريكا و»إسرائيل»، لأسبابها الخاصة.

خلاصة

السؤال الذي يفرض نفسه هنا: ما هو السيناريو الأكثر ترجيحا من بين السيناريوهات المذكورة؟ نعتقد أنه من الممكن تحقق السيناريو الأول للأسباب التي ذكرناها آنفا، خصوصا إذا ما تكاتفت الأطراف المؤيدة لبقاء الأونروا على دعم هذا الخيار سياسيا وماليا [28]، وإذا ما أحسنّا الاستفادة من التناقض بين الموقفين الأمريكي والأوروبي داخل الأطر الدولية التي تصنع سياسات الأونروا. غير أن السيناريو الثاني قد يحقق قدرا من النجاح في ضوء حالة الانقسام الفلسطيني والتشرذم العربي والإسلامي، ووجود بيئات تسمح للطرفين الإسرائيلي والأمريكي بالضغط في هذا الاتجاه. ولكنا نعتقد بصعوبة نجاح السيناريو الثالث الذي يظل مستبعدا في الظروف الحالية، حيث أن الجمعية العامة التي أنشأت الأونروا هي وحدها المخولة بإلغاء القرار 302. وهذا لا يتوافق مع رغبة غالبية أعضاء الجمعية العامة للأمم المتحدة.

لكن يعتمد ذلك بالطبع على حسن إدارتنا للأزمة وقدرتنا على الارتقاء بها إلى مستوى هذه المواجهة المصيرية التي يصبح فيها بقاء الأونروا خط

الدفاع الأول عن حق العودة، وذلك من خلال بلورة خطة مواجهة شاملة رسمية وشعبية على مستوى الدول المضيفة مجتمعة، ومستوى كل دولة منها على حدة. خطة تتبنى آليات تحشيد ومناصرة ناجعة عربيا ودوليا وتستفيد من طاقات الشباب وقدرتهم على توظيف وسائل التواصل الاجتماعي لهذا الغرض.

الخلاصة والتوصيات/الاقتراحات

يعد وجود الأونروا في حد ذاته واستمرارها في تأدية دورها بحسب التفويض المنوط بها، تأكيدا على مسؤولية المجتمع الدولي السياسية والأخلاقية في إيجاد مشكلة اللاجئين والتزامه بضرورة حلّها وفقا لمبادئ القانون الدولي. وفي هذا السياق، تجدر الإشارة إلى أنّ ديباجة القرار رقم 302 التي تمّ بموجبها إنشاء الأونروا، تذكِّر بأحكام الفقرة رقم 11 من قرار الجمعية العامة رقم 194. وفي السياق عينه، أكّدت الفقرة رقم 5 من القرار 302 على ضرورة استمرار إغاثة اللاجئين الفلسطينيين، من دون «الإجحاف بأحكام الفقرة 11 من القرار 194».

يستلزم ذلك إقامة نوع من التوازن بين الأهمية السياسية لوجود الأونروا في حدّ ذاته وبين دورها الإنساني، بغضّ النظر عن نوعية خدماتها وكميتها، ما يستلزم في هذا الوقت بالذات التمييز بين النقد الموضوعي الهادف إلى تقويم أداء الأونروا ورفع مستوى خدماتها، وهو أمر واجب ومطلوب، وبين النقد الذي يصبّ في خانة الجهد الرامي إلى تحطيم المكانة المعنوية للأونروا وتصفية دورها.

فيما يلي بعض التوصيات على الصعيدين العام، والخاص (لبنان)

=1= ضرورة بلورة رؤية فلسطينية، وفلسطينية-لبنانية، وفلسطينية-عربية مشتركة بعيدة المدى تجاه سياسات الأونروا، تستجيب بفاعلية للأزمات المتوقّعة، ولا ترتكز على ردّات الفعل والحلول المؤقتة، بما يتيح المجال لتأسيس قواعد للعمل المشترك، الذي يسمح بالضغط على الهيئات الدولية المعنية، من أجل التوصل إلى حلول جذرية للعجز المزمن في موازنة الأونروا، وعبر الاستفادة من دروس أزمة الأونروا لسنة 2015.

=2= تعزيز التنسيق الفلسطيني-العربي و(اللبناني خصوصا) في الأطر العليا التي تصنع سياسة الأونروا (الجمعية العامة، واللجنة الاستشارية، ومؤتمرات المانحين)، وفي مؤتمرات المشرفين على شؤون اللاجئين/ الجامعة العربية، لتعزيز الدعم الدولي المقدّم للأونروا بما يضمن استمرار وجودها، ناهيك عن تحمل مسؤوليتها في تلبية الحاجات الملحة للاجئين الفلسطينيين في مناطق عملها كافة.

=3= تخصيص موازنة دائمة للأونروا، ضمن موازنة الأمم المتحدة، لا تعتمد على الهبات والتبرعات. وفي هذا السياق، ضرورة العمل من أجل تفعيل اقتر ا ح الأمين العام للأمم المتحدة في هذا الخصوص في آب/ أغسطس 2017، بجعل موازنة الأونروا مستدامة وكافية ويمكن التنبؤ بها. وهو اقتراح قد حذفه نائب رئيس الجمعية العامة للأمم المتحدة، الإسرائيلي داني دانون، من جدول أعمال الدورة 72. وفي هذا الصدد نشير إلى أن دولة الإكوادور ستتولى رئاسة الدورة القادمة للجمعية العامة 73 ابتداء من أيلول/سبتمبر 2018، كما ستكون دولة قطر نائبا للرئيس.

=4= دعوة الأونروا إلى اعتماد سياسة مالية مرنة تسمح بتدوير المساعدات والهبات التي تتلقاها من خارج الموازنة الاعتيادية، أي تلك المخصصة للبرامج الطارئة، من أجل تغطية العجز في برمج الخدمات الأساسية، وذلك عبر اعتماد آلية معينة تسمح بتحويل جزء من تلك المساعدات والهبات إلى الموازنة الاعتيادية، إذا ما اقتضت الحاجة.

=5= العمل على تعزيز مفهوم المشاركة المجتمعية الذي تتبنّاه العديد من المنظمات الدولية، بما فيها الأونروا، أي إشراك اللاجئين، من خلال منظمات المجتمع المدني واللجان الشعبية والأهلية بشكل فعّال في رسم سياساتها وتخطيط برمجها وتنفيذها، مع ضرورة استمرار الضغط على الأونروا من أجل ترشيد الإنفاق وتعزيز الشفافية في النظم المالية والإدارية للوكالة.

=6= ضرورة تكثيف الجهود الرسمية اللبنانية من أجل التوصل إلى توقيع اتفاقية شاملة بين لبنان والأونروا لتحل محل الرسائل المتبادلة في سنة

1954، بما يعيد تنظيم علاقة الدولة اللبنانية مع الأونروا، وفقا للأعرف الدولية، وأسوة بما هو معمول به مع الدول العربية المضيفة الأخرى.

= = =

الهوامش

[27] يندرج اللاجئون الفلسطينيون تحت ولاية الأونروا، وهذا ما يميزهم عن بقية لاجئي العالم الذين يقعون تحت ولاية المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين. إن محاولات إدراج اللاجئين تحت حماية المفوضية ستؤدي إلى طمس خصوصية وضع اللجوء الفلسطيني، حيث أن الحلول الدائمة المعتمدة من قبل المفوضية لحل مشكلة اللاجئين عامة (الاندماج في بلد اللجوء، أي البلد الثاني أو التوطين في بلد ثالث) لا تراعي هذه الخصوصية، كما تهدد حقهم في العودة.

[28] أعلن المفوض العام للأونروا أمام اجتماع اللجنة الاستشارية للأونروا في عمّان في 16-18/6/2018، أن الأونروا نجحت في خفض عجز الموازنة للنصف الثاني من سنة 2018 من مبلغ 446 مليون دولار إلى 250 مليون دولار بفضل تبرعات حصلت عليها من بعض الدول الخليجية ودول أجنبية أخرى. وحاليا يسود التفاؤل أوساط الأونروا بإمكانية تجاوز الأزمة المالية إثر نجاح جهود المفوض العام للأونروا في أعقاب انعقاد مؤتمر نيويورك للدول المانحة في 25/6/2018، في خفض عجز الموازنة إلى 217 مليون دولار.

= = =

الناشر: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، 2018.

عنوان موقع أونروا للمزيد من المعلومات عنها والخدمات التي تقدمها:
https://www.unrwa.org/ar

ملف: أونروا
اللاجئون الفلسطينيون

إيلانا فيلدمان

ترجمة: هجوم ترمب الشامل على أونروا

أدناه ترجمة لمقتطف من مقالة للباحثة الأميركية إيلانا فيلدمان عن قرار إدارة الرئيس الأميركي، دونالد ترمب، وقف مشاركة الولايات المتحدة في تمويل ميزانية وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى (أونروا-UNRWA). تعتبر الباحثة القرار هجوما شاملا على الحقوق الفلسطينية، وخاصة حق العودة المنصوص عليه في القرار رقم 194 الصادر عنن الجمعية العامة للأمم المتحدة في عام 1949. نص القرار على:

«وجوب السماح بالعودة، في أقرب وقت ممكن للاجئين الراغبين في العودة إلى ديارهم والعيش بسلام مع جيرانهم، ووجوب دفع تعويضات عن ممتلكات الذين يقررون عدم العودة إلى ديارهم وكذلك عن كل فقدان أو خسارة أو ضرر للممتلكات بحيث يعود الشيء إلى أصله وفقاً لمبادئ القانون الدولي والعدالة، بحيث يعوّض عن ذلك الفقدان أو الخسارة أو الضرر من قبل الحكومات أو السلطات المسؤولة».

أعلنت إدارة الرئيس الأميركي، دونالد ترمب، في 31 آب (أغسطس 2018 عن وقف تقديم جميع المساهمات الأمريكية في ميزانية وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل لاجئي فلسطين في الشرق الأدنى (أونروا)، رافضة ما وصفته بأنها «عملية مختلة لا يمكن إصلاحها»[1]. تقدم أونروا التعليم والرعاية الصحية والتدريب الوظيفي ومعونة غذائية محدودة لملايين اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأوسط، معظمهم نسل اللاجئين الذين شردتهم إسرائيل

بالقوة من بيوتهم في فلسطين التاريخية في عام 1948، فيما يسميه الفلسطينيون النكبة[2].

خلافا لمعظم وكالات الأمم المتحدة، تأتي الميزانية التشغيلية لأونروا بكاملها من مساهمات طوعية من الدول الأعضاء في الأمم المتحدة. كانت الولايات المتحدة تاريخياً أكبر مانح لأونروا، وفي العام الماضي [2017] قدمت حوالي ربع ميزانية أونروا، البالغة 1.24 مليار دولار. نتيجة لذلك، لتوقف الولايات المتحدة عن المساهمة في ميزانية أونروا عواقب كارثية عليها.

قرار إدارة ترمب التوقف عن المشاركة في تمويل أونروا يعكس جزئيا تقاعسها عن تحمل ما كانت الحكومات الأميركية تعتبره مسؤولية تجاه دعم المؤسسات الدولية. وتبرر الإدارة مرارا هذا التقاعس بعد تقاسم العبء المالي بصورة منصفة.

وتضمن إعلان وزارة الخارجية عن وقف المساهمة المالية شكوى هي «الحصة غير المتناسبة من عبء تمويل تكاليف أونروا التي قدمناها منذ سنوات عديدة». دول أخرى أبدت الاستعداد لتعويض النقص الناتج عن توقف المساهمة الأميركية. وعقد اجتماع في 27 أيلول (سبتمبر) [2018] لوزراء خارجية الأردن والسويد وتركيا واليابان وألمانيا، وممثلين عن الاتحاد الأوروبي. وصدرت عن الاجتماع تعهدات بتقديم 122 مليون دولار لأونروا[3].

وفي 28 أيلول (سبتمبر) 2018، وقّع 112 نائبا من الحزب الديمقراطي على رسالة تحث الإدارة الأميركية على التراجع عن قرارها بسبب «عواقبه الوخيمة»[4]. ورغم أن رفض ترمب «للعولمة»[5]، وموقف الإدارة العدائي للاجئين، يوفران سياقا للعقوبة التي فرضت على أونروا، إلا أن للقرار هدفا محدد: الهجوم على أونروا جزء من هجوم شامل على المطالب السياسية للشعب الفلسطيني ومقدرته على التعامل مع السياسة التي تمارسها إدارة ترمب منذ توليه الرئاسة في 2016.

يقال إن صهر الرئيس، جاريد كوشنر، يرسم خطة سلام في الشرق الأوسط، توصف بأنها «صفقة القرن». ورغم ذلك، قضت الإدارة معظم وقتها في استباق نتائج المفاوضات من خلال فرض «حلول» لقضايا الوضع النهائي

للأراضي الفلسطينية، مثل قضية القدس، ويتجسد ذلك في قرار نقل السفارة الأميركية إلى القدس المختلف على وضعها. وجاء الآن الهجوم على سبل عيش اللاجئين الفلسطينيين، ووضعهم كلاجئين، وتحويل المعونة المالية إلى سلاح لإكراه الفلسطينيين على الدخول في مفاوضات على أساس الإذعان للمطالب الأميركية والإسرائيلية.

كان للمساعدات المالية المقدمة للفلسطينيين دور هام في عرض الولايات المتحدة لنفسها كوسيط «للسلام» بين إسرائيل والفلسطينيين. ولكن الولايات المتحدة لم تكن قط طرفا محايدا، ففي أعلنت على الدوام تأييدها الراسخ لإسرائيل، ونادرا مع اعترضت على أي عمل إسرائيلي.

لكن تقديم مساعدة للفلسطينيين وفر بعض الغطاء لادعاء الولايات المتحدة أنها مهتمة «بالطرفين». أزالت إدارة ترمب هذا القشرة. وبالإضافة إلى وقفها المساهمة في تمويل أونروا، منعت الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية من تقديم تمويل للسلطة الفلسطينية، وأوقفت المعونات للمستشفيات الفلسطينية في القدس الشرقية، وأنهت الدعم للبرامج التي يشارك فيها الفلسطينيون في إطار برنامج منحة إدارة النزاعات والتخفيف من آثارها. التمويل الوحيد الذي لم يتوقف هو ذلك المقدم لدعم العمليات الأمنية الفلسطينية[6].

لكن الهجوم المحدد على أونروا يكشف أيضا هدفا أعمق، فمع أن أونروا منظمة دولية، وليست هيئة فلسطينية، فإن استهداف إدارة ترمب لعمليات أونروا يعكس أهميتها بالنسبة إلى الفلسطينيين، وهي تتجاوز الخدمات المقدمة إليهم، رغم أهميتها.

منذ زمن طويل، اعتبر الفلسطينيون وجود أونروا اعترافا بالمسؤولية الدولية عن معالجة محنتهم. وفي الوقت نفسه، شعروا بالقلق من اعتبار محنتهم مجرد مسألة إنسانية، وليست قضية سياسية في أصلها وتحتاج إلى معالجة، فمنذ عام 1949، أعرب اللاجئون الفلسطينيون عن القلق من تحويل «القضية الفلسطينية من قضية تحرير بلد إلى قضية إنسانية— أي توفير الغذاء والمأوى للاجئين»[7]، وأصروا على القول إن حاجة اللاجئين للمساعدة هي نتيجة لظلم كبير وقع عليهم—أي التشريد الذي حصل في عام 1948 لمعظم سكان فلسطين الأصليين، وتجريدهم من ممتلكاتهم، وتفكيك الكينونة السياسية الفلسطينية.

إن معالجة احتياجاتهم تتطلب معالجة الظلم وذلك بالاعتراف بحقهم في العودة المنصوص عليه في قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 194.

الهوامش

[1] الناطقة باسم وزارة الخارجية الأميركية، هيذر ناورت، «حول المساعدة الأميركية لأونروا»، بيان صحفي لوزارة الخارجية، 31 آب (أغسطس) 2018.
[2] تقدم أونروا بعض المساعدة للنازحين، أي الفلسطينيين الذين أصبحوا لاجئين بسبب حرب عام 1967، ولكن فئة لاجئ تقتصر على لاجئي عام 1984 ونسلهم.
[3] أونروا، «اجتماع وزاري متعلق بأونروا يجمع 122 مليون دولار»، 28 أيلول (سبتمبر) 2018.
[4] كونغرس الولايات المتحدة، «رسالة إلى وزارة الخارجية»، 28 أيلول 2018.
[5] «ترمب يعترض على العولمة»، نيويورك تايمز، 26 أيلول 2018.
[6] يعرّض قانون تم سنه في الآونة الأخيرة متلقي المعونة الأميركية لخطر مقاضاتهم في المحاكم الأميركية، وهذا يجعل من المستحيل على السلطة الفلسطينية قبول هذه المعونات.
[7] أرشيف اللجنة الدولية للصليب الأحمر، الملف 1-A-0410، «زيارة إلى مخيمات جنوب لبنان».

= = =

هجوم ترمب الكامل على السياسة الفلسطينية. بقلم إيلانا فيلدمان. تاريخ النشر: 3 تشرين الثاني (نوفمبر) 2018. مشروع البحث والمعلومات الخاص بالشرق الأوسط

Trump’s Full Spectrum Assault on Palestinian Politics
By Ilana Feldman. Published: 3 November 2018
Middle East Research and Information Project (MERIP)
https://www.merip.org/mero/mero110318

اللاجئون الفلسطينيون وحق العودة

وثيقة: قرار الأمم المتحدة 194

الجمعية العامة للأمم المتحدة. قرار رقم ١٩٤ (الدورة الثالثة) بتاريخ ١١ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤٨

إنشاء لجنة توفيق تابعة للأمم المتحدة وتقرير وضع القدس في نظام دولي دائم وتقرير حق اللاجئين في العودة إلى ديارهم في سبيل تعديل الأوضاع بحيث تؤدي إلى تحقيق السلام في فلسطين في المستقبل

إن الجمعية العامة

وقد بحثت في الحالة في فلسطين من جديد

١. تعرب عن عميق تقديرها للتقدم الذي تم بفضل المساعي الحميدة المبذولة من وسيط الأمم المتحدة الراحل في سبيل تعزيز تسوية سلمية للحالة المستقبلة في فلسطين، تلك التسوية التي ضحى من أجلها بحياته. وتشكر للوسيط بالوكالة ولموظفيه جهودهم المتواصلة، وتفانيهم للواجب في فلسطين.

٢. تنشئ لجنة توفيق مؤلفة من ثلاث دول أعضاء في الأمم المتحدة، تكون لها المهمات التالية:

==أ== القيام، بقدر ما ترى أن الظروف القائمة تستلزم، بالمهمات التي أوكلت إلى وسيط الأمم المتحدة لفلسطين بموجب قرار الجمعية العامة رقم ١٨٦ (د – ٢) الصادر في ١٤ أيار (مايو) سنة ١٩٤٨.

==ب== تنفيذ المهمات والتوجيهات المحددة التي يصدرها إليها القرار الحالي، وتلك المهمات والتوجيهات الإضافية التي قد تصدرها إليها الجمعية العامة أو مجلس الأمن.

ج= القيام - بناء على طلب مجلس الأمن- بأية مهمة تكلها حاليا قرارات مجلس الأمن إلى وسيط الأمم المتحدة لفلسطين، أو إلى لجنة الأمم المتحدة للهدنة . وينتهي دور الوسيط بناء على طلب مجلس الأمن من لجنة التوفيق القيام

بجميع المهمات المتبقية، التي لا تزال قرارات مجلس الأمن تكلها إلى وسيط الأمم المتحدة لفلسطين.

٣. تقرر أن تعرض لجنة من الجمعية العامة، مكونة من الصين وفرنسا واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية والمملكة المتحدة والولايات الأمريكية، اقتراحا بأسماء الدول الثلاث التي ستتكون منها لجنة التوفيق على الجمعية لموافقتها قبل نهاية القسم الأول من دورتها الحالية.

٤. تطلب من اللجنة أن تبدأ عملها فورا حتى تقيم في أقرب وقت علاقات بين الأطراف ذاتها، وبين هذه الأطراف واللجنة.

٥. تدعو الحكومات والسلطات المعنية إلى توسيع نطاق المفاوضات المنصوص عليها في قرار مجلس الأمن الصادر في ١٦ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٤٨، وإلى البحث عن اتفاق بطريق مفاوضات تجري إما مباشرة أو مع لجنة التوفيق، بغية إجراء تسوية نهائية لجميع المسائل المعلقة بينها.

٦. تصدر تعليمات إلى لجنة التوفيق لاتخاذ التدابير بغية معونة الحكومات والسلطات المعنية، لإحراز تسوية نهائية لجميع المسائل المعلقة بينها.

٧. تقرر وجوب حماية الأماكن المقدسة ـ بما فيها الناصرة- والمواقع والأبنية الدينية في فلسطين، وتأمين حرية الوصول إليها وفقا للحقوق القائمة، والعرف التاريخي، ووجوب إخضاع الترتيبات المعمولة لهذه الغاية لإشراف الأمم المتحدة الفعلي. وعلى لجنة التوفيق التابعة للأمم المتحدة، لدى تقديمها إلى الجمعية العامة في دورتها العادية الرابعة اقتراحاتها المفصلة بشأن نظام دولي دائم في منطقة القدس، أن تتضمن توصيات بشأن الأماكن المقدسة الموجودة في هذه المنطقة، ووجوب طلب اللجنة من السلطات السياسية في المناطق المعنية تقديم ضمانات رسمية ملائمة فيما يتعلق بحماية الأماكن المقدسة في باقي فلسطين، والوصول إلى هذه الأماكن، وعرض هذه التعهدات على الجمعية العامة للموافقة.

٨. تقرر أنه نظرا إلى ارتباط منطقة القدس بديانات عالمية ثلاث، فإن هذه المنطقة، بما في ذلك بلدية القدس الحالية، يضاف إليها القرى والمدن المجاورة التي يكون أبعدها شرقا أبو ديس وأبعدها جنوبا بيت لحم وأبعدها غربا عين كارم (بما فيها المنطقة المبنية في موتسا) وأبعدها شمالا

شعفاط، يجب أن تتمتع بمعاملة خاصة منفصلة عن معاملة مناطق فلسطين الأخرى، ويجب أن توضع تحت مراقبة الأمم المتحدة الفعلية.
تطلب من مجلس الأمن اتخاذ تدابير جديدة بغية تأمين نزع السلاح في مدينة القدس في أقرب وقت ممكن.
تصدر تعليمات إلى لجنة التوفيق لتقدم إلى الجمعية العامة في دورتها العادية الرابعة اقتراحاتها مفصلة بشأن نظام دولي دائم لمنطقة القدس، يؤمن لكل من الفئتين المتميزتين الحد الأقصى من الحكم الذاتي المحلي المتوافق مع النظام الدولي الخاص لمنطقة القدس.
إن لجنة التوفيق مخولة صلاحية تعيين ممثل للأمم المتحدة، يتعاون مع السلطات المحلية فيما يتعلق بالإدارة المؤقتة لمنطقة القدس.
٩. تقرر وجوب منح سكان فلسطين، جميعهم، أقصى حرية ممكنة للوصول إلى مدينة القدس بطريق البر والسكك الحديدية وبطريق الجو، وذلك إلى أن تتفق الحكومات والسلطات المعنية على ترتيبات آثر تفصيلا.
تصدر تعليمات إلى لجنة التوفيق بأن تعلم مجلس الأمن فورا، بأي محاولة لعرقلة الوصول إلى المدينة من قبل أي من الأطراف، وذلك كي يتخذ المجلس التدابير اللازمة.
١٠. تصدر تعليمات إلى لجنة التوفيق بالعمل لإيجاد ترتيبات بين الحكومات والسلطات المعنية، من شأنها تسهيل نمو المنطقة الاقتصادي، بما في ذلك عقد اتفاقيات بشأن الوصول إلى المرافئ والمطارات واستعمال وسائل النقل والمواصلات.
١١. تقرر وجوب السماح بالعودة، في أقرب وقت ممكن للاجئين الراغبين في العودة إلى ديارهم والعيش بسلام مع جيرانهم، ووجوب دفع تعويضات عن ممتلكات الذين يقررون عدم العودة إلى ديارهم وكذلك عن كل فقدان أو خسارة أو ضرر للممتلكات بحيث يعود الشيء إلى أصله وفقا لمبادئ القانون الدولي والعدالة، بحيث يعوّض عن ذلك الفقدان أو الخسارة أو الضرر من قبل الحكومات أو السلطات المسؤولة.
وتصدر تعليمات إلى لجنة التوفيق بتسهيل إعادة اللاجئين، وتوطينهم من جديد، وإعادة تأهيلهم الاجتماعي والاقتصادي، وكذلك دفع التعويضات، وبالمحافظة على الاتصال الوثيق بمدير إغاثة الأمم المتحدة للاجئين

الفلسطينيين، ومن خلاله بالهيئات والولايات المتخصصة المناسبة في منظمة الأمم المتحدة.

١٢. تفوض لجنة التوفيق صلاحية تعيين الهيئات الفرعية واستخدام الخبراء الفنيين العاملين تحت إمرتها، ما ترى أنها بحاجة إليه لتؤدي، بصورة مجدية، وظائفها والتزاماتها الواقعة على عاتقها بموجب نص القرار الحالي.

ستتخذ لجنة التوفيق القدس مقرها الرسمي. ويكون على السلطات المسؤولة عن حفظ النظام في القدس اتخاذ جميع التدابير اللازمة لتأمين سلامة اللجنة. ويقدم الأمين العام عددا محددا من الحراس لحماية موظفي اللجنة ودورها.

١٣. تصدر تعليمات إلى لجنة التوفيق بأن تقدم إلى الأمين العام بصورة دورية، تقارير عن تطور الحالة كي يقدمها إلى مجلس الأمن وإلى أعضاء منظمة الأمم المتحدة.

١٤. تدعو الحكومات والسلطات المعنية، جميعا إلى التعاون مع لجنة التوفيق، وإلى اتخاذ جميع التدابير الممكنة للمساعدة على تنفيذ القرار الحالي.

١٥. ترجو الأمين العام تقديم ما يلزم من موظفين وتسهيلات، واتخاذ الترتيبات المناسبة لتوفير الأموال اللازمة لتنفيذ أحكام القرار الحالي.

===

تبنت الجمعية العامة هذا القرار في جلستها العامة رقم ١٨٦، بخمسة وثلاثين صوتا مع القرار مقابل خمسة عشر صوتا ضده وامتناع ثماني دول عن التصويت:

مع القرار: الأرجنتين، استراليا، بلجيكا، البرازيل، كندا الصين كولومبيا، الدنمارك، جمهورية الدومنيكان، الإكوادور، السلفادور، الحبشة، فرنسا، اليونان، هاييتي، هندوراس، آيسلندا، ليبيريا، لوكسمبورغ، هولندا، نيوزيلندا، نيكاراغوا، النروج، بنما، باراغواي، بيرو، الفلبين، سيام، السويد، تركيا، جنوب أفريقيا، المملكة المتحدة، الولايات المتحدة الأمريكية، أوروغواي، فنزويلا.

ضد القرار: أفغانستان، بيلوروسيا، كوبا، تشيكوسلوفاكيا، مصر، العراق، لبنان، باكستان، بولندا، المملكة العربية السعودية، سوريا، أوكرانيا، الاتحاد السوفيتي، اليمن، يوغسلافيا.

امتناع: بورما، تشيلي، كوستاريكا، غواتيمالا، الهند، إيران، المكسيك.

===

المصدر: موقع لجنة الحوار اللبناني الفلسطيني، رئاسة مجلس الوزراء، لبنان.

http://www.lpdc.gov.lb

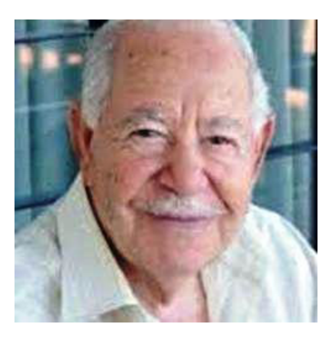
الترجمة العربية للقرار 194 متوفرة للتحميل بصيغة بي دي اف على الرابط التالي:

http://www.lpdc.gov.lb/DocumentFiles/%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B1%D8%A7%D8%B1%20%D8%B1%D9%82%D9%85%20194-635996840635979836.pdf

مختارات: وهدان عويس

أزمة الفكر العربي

أدناه مقتطف من كتاب للمهندس وهدان عويس، أحد أبرز الشخصيات القومية العربية في الأردن، الذي انتقل إلى رحمته تعالى يوم الأحد 4 تشرين الثاني (نوفمبر) 2018. عنوان الكتاب «نهضة الفكر في الغرب وأزمة الفكر عند العرب». الناشر: دار أزمنة، عمّان، 2006. يلخص المؤلف في المقتطف تصوره للخروج من هذه الأزمة.



إن الأعمال والممارسات الخاطئة التي يقوم بها بعض الجماعات وينسبونها إلى الدين هي التي شجعت الطامعين بالهيمنة على المنطقة من دول الغرب على الهجوم على المسلمين والعرب، وإلصاق تهم التخلف والإرهاب بهم. ولا ننسى أيضا أن هذه الدول غالبا ما تشجع هذه الجماعات سرا وتدفعها للتغول في تصرفاتها، والهدف هو زيادة تخلف المنطقة ومنع تقدمها حتى تبقى معتمدة على الغرب فيما تستهلكه من صناعاته وتكنولوجيته.

آن الأوان لأن يصحو العرب والمسلمون لهذا المأزق. والمسؤولية الرئيسية تقع على عاتق المرجعيات الدينية والسلطات السياسية المتحالفة معها.

وهنا يأتي دور المثقفين في معركة ومسيرة التغيير، فهم طليعة الأمة وهم قادة الفكر فيها. وما من ثورة أو تحول اجتماعي أو سياسي عبر التاريخ إلا والمثقفون كانوا المنادين به والمحفزين له، فالتحولات السياسية والاجتماعية

التي حدثت في أوروبا في عصر التنوير على سبيل المثال، ومنها الثورة الفرنسية التي أطاحت بالحكم الملكي الفردي، حمل لواءها مثقفو أوروبا والثورة البلشفية في روسيا التي قادها لينين غرس بذورها المفكر والفيلسوف كارل ماركس ورفاقه المثقفون.

كما أن حركات الاستقلال والتحرر من الحكم التركي والاستعمار الغربي حمل لواءها مثقفون ومفكرون عرب، فعلى المثقفين العرب مسؤولية تاريخية عظمى في إحداث التحولات والإصلاحات السياسية والاجتماعية في بلادهم، إن اعتمدوا أخلصوا وكانت لديهم الشجاعة وحب التضحية في حمل المسؤولية. وإن أخطر دور يقومون به هو التفافهم حول الحاكم وتبريرهم لتصرفاته وسياساته وقيامهم بدور محامي الشيطان، وكذلك تبريرهم وتبنيهم للأفكار والسياسات التي تطرحها الدول الاستعمارية والتي غايتها الحقيقية الهيمنة على المنطقة واستلاب ثرواتها. والذي يتابع وسائل الإعلام العربي هذه الأيام يرى بوضوح كيف أن بعض هؤلاء وقعوا بيد الحكام والدول الاستعمارية.

إن حالة العقم الفكري والعلمي لا تقتصر على عالمنا العربي والإسلامي، بل إن هناك شعوبا أخرى تعاني من هذه الحال، ومثال ذلك شعوب أمريكا الجنوبية التي ما زالت تحت سيطرة الكنيسة. فهذه الشعوب، منذ استعمرت من قبل الإسبان والبرتغال، أخضعتها الكنيسة لقيود وحدود دينية صارمة وأثقلت كاهلها بفرائض وطقوس وعبادات شكلية، وحللت وجود حكام دكتاتوريين يسومون شعوبهم العبودية، فحدّت بذلك من تقدم هذه الشعوب وأوصلتها إلى حالة من التخلف والجهل والفقر. بعكس ما آلت إليه الأمور في أمريكا الشمالية حيث كانت غالبية المستعمرين من الأنجلوسكسون ذوي التوجه الديني الحر المنفتح، فورثت أمريكا الشمالية ما كانت قد وصلت إليه أوروبا من علوم ومعارف بفضل هذا الانفتاح، واستثمرت هذه العلوم في نهضتها الصناعية والاقتصادية التي تشهدها اليوم.

لنأخذ مثالا آخر: شعوب الشرق الأقصى. فهذه الشعوب تدين بالبوذية أو الكونفوشية أو مشتقاتها، ولكنها وبالرغم من تدينها إلا أنها اتخذت الدين كموضوع شخصي لا يحكم الشؤون العامة، بل أخذت من الدين القيم المفيدة للمجتمع فقط كالنظام والانضباط والصدق في التعامل والتواضع واحترام العائلة وكبار السن، وتركت الفرائض والطقوس لاختيار الأفراد أنفسهم.

ورأينا كيف استطاعت هذه الشعوب التقدم في مجال العلم والمعرفة وكيف أخذت تنافس الشعوب الغربية صناعيا واقتصاديا.

هنا تكمن أهمية الدعوة للثورة الفكرية الدينية التي أشرنا إليها سابقا، والتي نأمل بظهور رجال دين متنورين لحمل لوائها. قد ترى المؤسسات الدينية التقليدية في هذه الدعوة تحريضا عليها وتهديدا لمصالحها، وقد تتهم المنادين بها بالكفر والإلحاد، والحقيقة أننا نرى في هذه الدعوة خدمة للدين والأمة، بمعنى أنها تعيد للدين نقاءه بعد أن ألصقت به المؤسسات التقليدية تأويلات مذهبية وممارسات وطقوس حرفته عن أهدافه.

كما أن دعوة الإصلاح هذه هي لصالح الإنسان العربي الذي عانى لقرون عديدة من التهميش والتجهيل، فقد آن الأوان لهذا الإنسان أن يصحو ويتلمس طريقه في مسيرة التمدن والتقدم العلمي.

= = =

عويس، وهدان. 2006. عمّان: دار أزمنة. ص ص 118-121.

إصدارات جديدة - نازك ضمرة

رواية ومجموعة قصصية



أضاف الكاتب نازك ضمرة إلى رصيد مؤلفاته رواية ومجموعة قصصية جديدتين. عنوان الرواية «غيوم سارحة». وعنوان المجموعة «قرع». ناشر الإصدارين: دار أمواج، عمان-الأردن، 2018.

تدور أحداث الرواية خلال عامين عاشهما يافع ريفي في المدينة، نتيجة اضطراره للعيش فيها بعيدا عن أهله وأسرته وهو لم يبلغ خمسة عشر عاما من عمره بعد، لمواصلة دراسته الثانوية، لعدم توفرها في قرى فلسطين والأردن في الخمسينات من القرن الماضي.

المراهق فقير يعاني الضيق المادي، ويخشى من التعلق بالحب وفتيات المدينة، حسب وصايا أهله. ريفي نشأ على التزمت والتدين، لكنه اضطر لتبني بعض العادات المدنية، والتعلق بأمور مختلفة عن حياة القرية المعزولة.

زار الحدث يافا واللد والرملة قبل عام النكبة 1948، وما زالت ذكريات تلك الزيارات وإقامة الشهور عند أخواله في تلك المدن عالقة في ذهنه.

أول ما لفت نظره في المدينة هو الدراجة الهوائية، فتعلم ركوبها، وصار مهووسا بركوبها مرات كل أسبوع، وعلى حساب نقود قوته القليلة، لكنه لم يشعر بالتعاسة وشقاء العيش حتى ولو عاشه بكل شظفه، لأنه طموح يحلم بالعلم والمستقبل وحب الحياة والبنات والجمال.

أدناه مقطع من الفصل السادس عشر من رواية «غيوم سارحة»

يعود مرزوق متحمسا إلى غرفته بعد حضور فيلم «غزو القمر»، ينهب الأرض مسرعا حتى يصل إلى غريفته الصغيرة، ولكي يشرح لجارته أم باسم عن الفيلم الذي أعجبه، قبل وصوله سمع نداء قويا وبصوت ملحن وجميل:

«هريسة، هريسة، هرايييس! يا عيني عليك يا يافا! كلك حلاوة يا يافا، يا خسارة عمره اللي ما شافك يافا، كلك هريسة يا يافا، خدودك عسل يااااااااا أمل».

تضطرب مشية مرزوق وهو يسمع هذه الكلمات الملحنة بصوت قوي ومموسق بخبرة وعمق عما ينطق. ينظر شمالا يمينا، يجد نفسه أنه قد اجتاز البائع، ينظر للخلف و صوت البائع مازال يرن في أذنيه، ذلك البائع اليافاوي، يعتز بمدينته وبصنعته التي كان مشهورا بها في يافا قبل احتلال الصهاينة لها، أو ورثها أبا عن جد في عائلتهم.

تعبر نسمة هواء رقيقة تداعب خصلات شعر مرزوق، فتشاكس على عينيه، وهو يتأمل ويفكر فيما يرى ويسمع، وأول ما خطر بذهنه غناء وتلحينات الحجة خضرة.

يجد مرزوق نفسه يتردد في تقدمه، يتوقف يصغي لمزيد من الغناء والتطريب من بائع الهريسة، ثم يبدأ بالعودة متباطئا صوب البائع.

وبرغم رغبة مرزوق الوصول لسكنه بسرعة إلا أنه وجد نفسه متوقفا شبه متشنج لسماع ذلك الصوت الذي يردد جماليات يافا وذكرياتها:

«يا خسارة عمره اللي ما شافك يافا. كلك هريسة يا يافا. خدودك عسل يااااااااا أمل».

أهي الهريسة أم صوت بائع الهريسة، أم عمق مشاعر الحزن والوفاء لمدينته يافا، التي وقعت أسيرة تحت حكم الجيش الصهيوني، أو هي تفننه في كلمات التسويق الناجح والتلحين التراثي الأصيل؟

البائع مازال يردد المزيد من ألحانه:

«طلّ علينا الحلو طلّ، عجّل والحق معانا، متّع عينك عالمكشوف، والمخفي أعظم حتشوف».

يريد مرزوق أن يسمع المزيد من نداءات التسويق جميلة الإيقاع. اقترب

أكثر ويده اليسرى تعبث بجيبه، ثم اليمنى بعد ذلك، يخرجها وبين أصابعه قرش واحد (عشرة فلسات). يقترب من صينية البائع فيرى إغراءات الهريسة بمنظرها اللامع المنتفخ والناضج، مع حمرة تجعلك تتمنى أن تمرر أصابعك تتلمسها قبل أن تقربها من فمك.

«خدودك حمرة هريستنا، بنت الدلال عروستنا، طلَي علينا يا بنت العم، نفديك بالمال والدم».

يناولك البائع قطعة صغيرة كي تتذوق هريسته، تقرب فمك منها حتى لا تحركها حتى تضمن أن رحيقها اختلط بريقك بين شفاهك وداخل فمك، تلحظ رجلا آخر يتقدم صوب البائع، تبتعد لتفسح له مجالا. يتردد الرجل الفلاح هو الآخر وهو يمدّ يده بالقرش للشراء:

«يا عيني عليك يا حَلَوْلَوْ، يا روحي عليك لما تتجلى يا جميل، غرّب على يافا يا عمي نبيل».

يستمر في نداءاته وحركات يديه المعبرة، يلمس صدره ووجنته وهو ينادي على هريسته، وبحركات رشيقة يقطع للرجل قطعة مقابل القرش، يبتسم الرجل المشتري في وجه البائع، ويطلب منه أن يزيد له في الكمية.

«الله يسترك كبرها شوية».

يمشي مرزوق خطوات عدة للأمام، يتجه يمينا فوق الرصيف، يحتك بالجدار فيستند عليه دون أن يشعر، يحسَ نفسه أنه يتوقف ثانية، يستجيب البائع فيقطع للرجل الريفي قطعة صغيرة جدا على رأس ملعقته، يزيحها ويضعها أمام الرجل دون أن يتكلم. يواصل النداء معلنا عن هريسته بكلماته الملحنة وبصوته القوي الجميل:

« حلّي سنونك يا ولد. اللي ما يجري ما يلحق. راحت الحلوة يا أمي، مرت من هون يا عمي، عجل لحقها يا نشمي».

يتقدم مرزوق ويناول البائع قرشه، يحمل قطعته الملفوفة في ورقة من كتاب تاريخ قديم. يتقدم الفلاح من البائع مبتسما، يقرب وجهه من أذن البائع شبه هامس قائلا:

«الله يخلي لك أولادك وزوجتك أن تزيد لي كمان لحسة، الله يفرحك بزواج بناتك».

«وبعدين معاك يا ابن الفلاليح، فك عني خلينا نشوف غيرك. أقول لك:

خذ قرشك وريحني، بطلنا نبيع يا سيدي، توكل على الله، ومسامحك في اللي أكلته، بس خلينا نشوف غيرك».

وأنت تسند كتفك للجدار، تقضم من قطعتك قليلا قليلا، لا تريدها أن تنفذ، تتلمظ وأنت تحاول إطالة مدة المضغ، تفطن لوضعك بعدها وتعاتب نفسك، وأنت مالك ومال العالم يا مرزوق، اشتريت وأكلت نصيبك، هيا تحرك إلى بيتك.

يشعر الرجل بشيء من الحرج فيحاول تهدئة الوضع قائلا:

«مالك زعلت يا معلم، حتى لو لم تعطني شيئا فلن آخذ القرش، من أجل عيون حلاوة يافا، لا يهمني شيء حتى لو قال كل الناس عني مجنون، أعجبني نداؤك وغناؤك والشغل اليافاوي. الله يرحمك يا يافا، ويرحم أيام زمان، أنا زرت يافا أكثر من مرة، وسبحت في بحرها، وأحببت فتاة منها، لكنني الآن لا أعرف أين مصيرها».

«إذن ماذا تريد مني؟ الله يخليك فكنا منك ومش ناقصنا جروح، صلّ على النبي وتوكل على الله. الله يفتحها في وجهك».

«لا شيء، لا أريد شيئا، وداعا».

يحمل الفلاح ما تبقى من قطعة الهريسة، يضمها بين أصابعه ويسير ملتفتا حوله. يحني رأسه كثيرا هو الآخر ويرفع يده المحملة بالحلوى نحو فمه لاستقبالها. بينما ظلّ صوت البائع الجميل يردد كلمات جديدة:

«راحت الحلوة عالبير، حتى تصيّد عصافير، مرّ الصياد المجنون، طاروا وفرّوا العصافير».

يصل مرزوق الملجأ الذي يقيم فيه، يهجم على جارته أم باسم بهوج ليصف لها وبحماس ما شاهد في ذلك الفيلم من العجائب. تمنى لو انه اشترى بقرش آخر قطعة هريسة لجارته أم باسم، والتي لا تنساه من أي طعام تطبخه لأسرتها، وأحيانا تتفقده بساندويتش لبنة أو جبنة مع مربى العنب أو العسل.

لكنه فطن أنّ أهم ما يشغل باله هو قدرته على شرح ما شاهده في فيلم «غزو القمر». تمنى أن يكون مع أول دفعة من المسافرين إلى القمر، لكنه استدرك أن ذلك لا يمكن أن يحصل إلا لمن هو أمريكي، أو إذا هاجر إلى أمريكا أو تعلم ثم استقر بها، لأن الفيلم كان أمريكيا.

كانت جارته تنصت باهتمام شديد له وهو يتكلم. تبتسم أم باسم فيبدو

نابها المكسور، مع أن أسنانها الأمامية كانت سليمة، وكانت تشكو من آلام في طواحينها بسبب التسوس. كان عمرها يزيد عن خمسة وثلاثين عاما، ومرزوق لم يبلغ السادسة عشرة من عمره بعد. قال لها:

«لم أشتر طعاما هذا اليوم لأنني صرفت ثمانية قروش، خمسة منها لدخول الفيلم، وقرشين مكسرات وشراب، وبقرش آخر حلّيت فمي به».

«إذن فأنت جائع».

«كثيرا».

«دعني أبحث إن وجدت عندنا شيئا تأكله. ما رأيك في الزيتون والزيت وزعتر، مع كأس من الشاي الحلو جدا؟ أمك صديقتي أوصتني عليك».

«أسناني جاهزة لتهرس أي شيء يسد جوعي. هل سترافقينني لمشاهدة الفيلم ثانية يا أم باسم؟»

«ربما بعد يومين أو ثلاثة».

* * *

دخلا السينما دون أن يسألا أحدا. لم يتنبها لاسم الفيلم. أمنت طفليها عند حماتها، ووفت بوعدها المجنون الأهوج بمرافقة جارها المراهق مرزوق سرا إلى السينما بعد ثلاثة أيام، وتكفلت هي بقيمة التذاكر وبثمن (البوب كورن) وبالشراب الغازي أثناء عرض الفيلم.

فوجئ مرزوق وجارته بأن الفيلم الأمريكي قد انتهى عرضه واستبدل بفيلم عربي، يمثل فيه محمد فوزي مع صباح. كان فيلما دراميا غنائيا كله حب في حب ودلع في دلع، وحرد في حرد، هذا ما علق بذهن مرزوق، صحيح أنه حفظ مقاطع من بعض أغاني الفيلم التي يغنيها محمد فوزي مثل:

«دا أنت حبيت، أيوه حبيت، جد حبيت؟، والله حبيت، دانا دانا دانا، دا أنا حبيت».

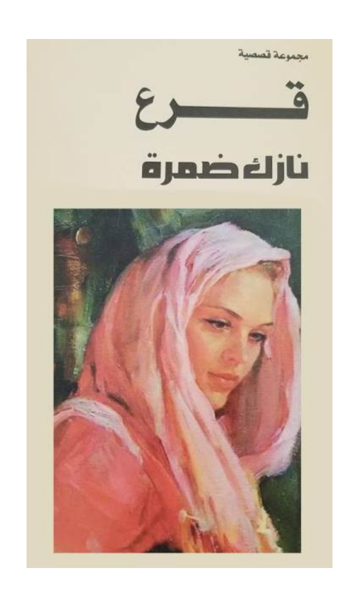
في مثل تلك المواقف لاحظ مرزوق أن كثيرا من المشاهدين ممن ترافقهم امرأة يقتربان من بعضهما، ورأى بعين خفية أكثر من امرأة تميل على الرجل الذي يرافقها أثناء عرض الفيلم مستغلين الظلام، الله أعلم زوجها أو صديقها.

يحس مرزوق أن يد جارته تسحب يده، تعصرها، وحين أحسّت استسلامه رفعتها إلى فمها وقبلتها. خرج هواء حار من فمها، أحس مرزوق كأن إشعاع

نار يدفئ يده، فما كان منه إلا أن جاملها، ففعل مثلها وقبل يدها التي تمسك بيده في الظلام أثناء عرض الفيلم.

التفت حوله مرتبكا ليرى إن كان أحد يراقبه كما يراقب هو الآخرين، لم يدر كيف فعل ذلك، كانت المرة الأولى التي يفعلها في حياته، لم يقبل يد امرأة قبلها إلا يد والدته ويد جدته. كان يحرج أمه كثيرا وهو صغير. تطلب أن يقبل يد امرأة ما، تقول له، «بوس إيد خالتك فلانة»، فلا يفعل كما هي العادة القديمة في الريف. لم يكن ينفذ مثل تلك الأوامر، بل يماطل، أو يضيع الفرصة بالتردد.





إصدارات جديدة - تسنيم الحبيب

إضاءات العتمة الأخيرة



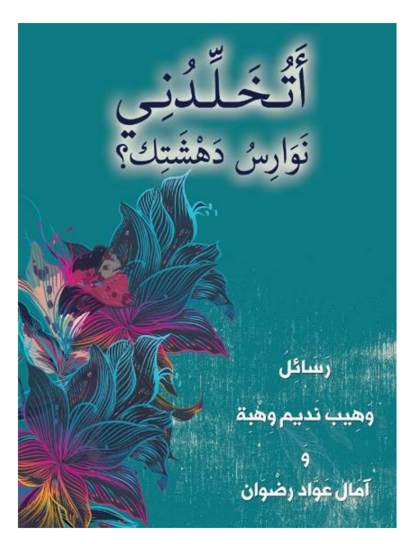
صدرت للقاصة الكويتية، تسنيم يحيى الحبيب، مجموعة قصصية جديدة عنوانها «إضاءات العتمة الأخيرة». الناشر: دار الفراشة، الكويت 2018. تضم المجموعة ثلاثة وعشرين نصا وزعت على أربعة أقسام. تنوعت موضوعات النصوص بين الوجداني والإنساني، وبعضها كان «متتالية قصصية» وأخرى قصيرة جدا. أدناه واحدة من قصص المجموعة.

مخيال

نهرت ولدي الصغير، نعم فعلت ذلك، وبشدة، ودون أن أتحفظ على لحن صوته الطازج، ولا على أعوامه الخمسة. جاء لي بعينين رطبتين، قال: في رأسي ساحرة شريرة، تحوّل أعيننا لجمر أحمر، وأنا خائف منها! صرخت فيه: أششش! لا أريد سماع المزيد، لا سحرة هنا، لا أشرار حولنا، لا تبكي، الأقوياء لا يبكون! اسكت، العب، اذهب، قارع إخوتك، شاجر ابن خالك أو ابن عمتك، شاهد فيلما كارتونيا، أو لاعب جهاز الآيباد، أو واكب الأرجوحة الصدئة، أو كُل حلوى، لكن إياك إياك أن تسمح للثقب بالاتساع، سينسكب خيالك ويغرقنا! نهرت ولدي الصغير، وكدت أن أضربه، وقد نسيت أني عشت سنين طويلة أحارب وحوشا في المخيلة.

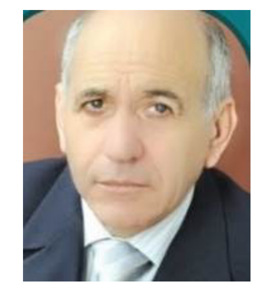
إصدارات جديدة - ديوان مشترك

أتـخـلّـدنـي نوارس دهشتك؟



صدر للشاعرين الفلسطينيين وهيب نديم وهبة وآمال عوّاد رضوان كتاب مشترك يضم رسائل/قصائد متبادلة بين الشاعرين. عنوان الكتاب/الديوان «أتـخـلّـدنـي نوارس دهشتك؟». الناشر: دار الوسط، رام الله-فلسطين، 2018.

كتب الناقد العراقي علوان السلمان مقدمة للكتاب قال فيها: «لقد شهد فن الرسائل نهضة واضحة المعالم، إذ إن مسايرته لحركة العصر الذي وسم بعصر السرعة، وكان تطوره في المحتوى والأسلوب، حتى صار صناعة ذات قواعد وأصول، وأخذ يستمد أهميته وقيمته من أمرين أساسيين: الخصائص والوظائف». أدناه مقتطفان من قصيديتين متبادليين.



وهيب نديم وهبة

لأمواج الكلمات، فوق بياض الزبد

لهذا النهر الذي، يختار جهة الفكر

لمصب النهايات، في خواتيم البر الكبير؛

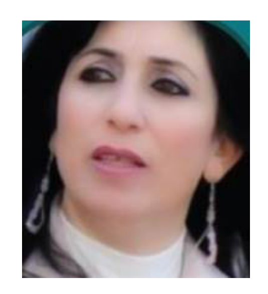
«الحياة»!

لعصافير الشعر التي تطير الآن من أوراقي!

سأكتب إليك أغنية، وفي القلب «سلامي لك مطرا»

===

آمال عواد رضوان ترد:



على ثرى أثيري، حطت عصفورة ضوء

تهز عرش أساطيري!

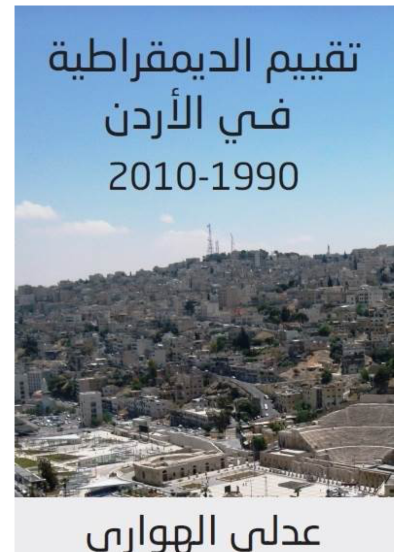
من ذاك المدى، رفرفت، هلت وهللت

تنبيني، بهدية مختومة، بعطر الشعر

مظللة بوحي حرفي، «سلامي لك مطرا»؟!

بحوث - د. عدلي الهواري

هل يمكن قياس الديمقراطية



صدر في لندن في تشرين الثاني (نوفمبر) 2018 كتاب يتضمن تقييما لوضع الديموقراطية في الأردن خلال العقدين 1990-2010. يتزامن صدور الكتاب مع الذكرى السنوية التاسعة والعشرين لإجراء انتخابات نيابية في تشرين الثاني (نوفمبر) 1989، وهي أول انتخابات من نوعها منذ 1967، واعتبرت استئنافا للحياة الديمقراطية في الأردن.

عملية التقييم تمت وفق منهجية تعرف بالتدقيق الديمقراطي (democratic audit)، واعتمدت على استبيانين ومقابلات شخصية جرت من 2008 وحتى 2010. وكانت المقابلات مع شخصيات من مختلف الاتجاهات في الأردن. وقد تم تحديث التقييم للسنوات 2011-2018 بإضافة فصل جديد سلط الضوء على أهم التطورات المرتبطة بالتقييم الأصلي.

الكتاب الجديد مكمل لآخر صدر نيسان 2018 عن مدى توافق الديمقراطية مع كل من الإسلام وما يسمى الإسلام السياسي. ويركز على الجوانب العملية في الممارسة الديموقراطية كدور الأحزاب والبرلمان والإعلام والمجتمع المدني، إلى آخره في الأردن خلال عقدين (1990-2010) أي منذ إجراء

أول انتخابات نيابية أواخر عام 1989 بعد توقفها منذ عام 1967 إلى ما قبل الاحتجاجات الجماهيرية التي شهدتها بضع دول عربية في نهاية 2010 وبداية 2011.

أدناه فصل من كتاب صدر حديثا عنوانه «تقييم الديمقراطية في الأردن 1990-2010».

هل يمكن قياس الديمقراطية؟

يعترف سويسر ودي ميجيل (2008) بالشك فيما يتعلق بقياس الديمقراطية ويقولان «إن جدوى ومدى أهمية «قياس» حقوق الإنسان والديمقراطية والحوكمة كانت منذ فترة طويلة مثيرة للجدل في أوساط المهتمين بحقوق الإنسان وفي الوسط الإحصائي الدولي أيضا» (ص 157). لكنهما يشيران إلى أن هناك «حاجة إلى مؤشرات لقياس الديمقراطية وحقوق الإنسان»، لأنها «تعتبر على نحو متزايد أساسية للحوكمة الرشيدة» (ص 169).

تختلف شدة انتهاكات حقوق الإنسان، ولها نتائج ملموسة. ولذلك، فإن محاولة تحديد درجة الاختلاف في الانتهاكات أمر منطقي. هيومانا (1987) أصدر مؤشرا خاصا بحقوق الإنسان في 120 دولة. وردا على التشكيك في قياس انتهاكات حقوق الإنسان، يشير هيومانا (1987، ص vii) إلى استنتاج بانكس (1985) الذي يقول فيه إنه يمكن استخدام الإحصاءات في خدمة حقوق الإنسان، مثلما تستخدم في مجالات أخرى[1]. سأناقش هذا الشك في قسم آخر من هذا الفصل.

قبل ذلك، أود أن أشير إلى كيف وصف بعض الباحثين الذين درسوا الديمقراطية والإسلام في الأردن مدى الديمقراطية في البلاد. يستنتج الشرعة (1997) أن «الأردن برز بوصفه البلد الأكثر انفتاحا ديمقراطيا في العالم العربي، بمعنى أن كل الجماعات والاتجاهات السياسية بما في ذلك الإسلاميون، يمكنها المشاركة في العملية السياسية» (ص 323). ليس واضحا ما يعني الشرعة بقوله «الأكثر انفتاحا ديمقراطيا»، وسبب اختياره المقارنة ضمن العالم العربي فقط. والسؤال الذي يطرح نفسه في هذه الحال: هل توجد

دول ديمقراطية في العالم العربي؟ وكيف يمكن استنتاج أن الأردن الأكثر ديمقراطية بينها؟

نويون (2003) تقول إن الأردن «سمح للإسلاميين بحرية أكبر للتنظيم، وبإدارة ذاتية أكبر في نشاطاتهم الاجتماعية والسياسية مقارنة بمعظم الدول العربية الأخرى» (ص 81). ووفقا لروبنسون، «كانت المهمة الأساسية للبرلمان إضفاء الشرعية على أجندة الملك حسين» (ص 393). يختلف روبنسون مع الرأي القائل إن شعبية الإسلاميين تراجعت. ويقول إن نتائجهم كانت «حسنة جدا في نظام انتخابي صمم بشكل واضح للعمل ضد مصلحتهم» (ص 399). ومقياس النجاح يعكسه الفوز بـ«أكثر من ربع مقاعد البرلمان»، الذي يعادل «ثلث عدد المقاعد المستثناة من الكوتا» (ص 399).

يدرس لوكاس (2005) «ملامح الأنظمة الاستبدادية التي تسهل استقرار الاستبداد» (ص 1). ويسعى لشرح كيف «تمكن النظام الأردني من مواجهة تحديات البقاء الخارجية والسيطرة على التهديدات الداخلية». ويتساءل: «هل يمكن لنجاح الملكية الأردنية شرح الديمومة المدهشة للأنظمة الاستبدادية في العالم العربي؟» ويشير لوكاس أيضا إلى أن بحثه «يهتم باستخدام النظام الأردني القواعد المؤسسية في ثلاثة مجالات: الأحزاب السياسية والبرلمان الأردني [...] والصحافة» (ص 7).

تقول بولبي (1999): رغم أن «تحقيق الديمقراطية الليبرالية لم يكن هدف الإخوان النهائي، إلا أن دور الجماعة كان قوة محرّرِة في السياسة الأردنية» (ص 116). وتؤكد شويدلر (2006) أن الأردن ليس «قريبا من تلبية المظاهر الأساسية للديمقراطية» (ص 2). ويوضح لينش (1999) أن «النقاش السياسي في الأردن أصبح حرا ومفتوحا إلى حد لافت، حتى حول أكثر المواضيع حساسية» (ص 31). ويشير مودل (2002) إلى أن «سياسة الدولة الجامعة تجاه جماعة الإخوان عززت تحالف الجماعة-الهاشميين» (ص 3).

إن العامل المشترك بين الآراء المتنوعة في حال الديمقراطية في الأردن أنها معتمدة على انطباعات وليس على معايير محددة. وهذا الوضع يدعو إلى تقييم الديمقراطية في بلد ما وفق معايير واضحة. منهجية التدقيق الديمقراطي تعتمد على معايير محددة تهدف إلى الوصول إلى تقييم مفصل. ومع ذلك، قبل أن أشرح لماذا تتفوق مزايا التدقيق الديمقراطي على الطرق الأخرى،

سأذكر عدة تقييمات تستند إلى أساليب ومعايير متنوعة لقياس حقوق الإنسان والحريات والديمقراطية في الأردن والدول الأخرى.

الفهارس والتقييمات الأخرى

هيومانا أعد مؤشرا بالاعتماد على استبيان مكون من أربعين سؤالا. نسخة الفهرس الصادرة في عام 1983 «شملت بنودا غير مشمولة في الصكوك الدولية لحقوق الإنسان» (ص viii). ولكنه عدل الاستبيان لتكون كل الأسئلة «مستخلصة بالكامل» من الصكوك (ص viii). بعد استلام الإجابات عن الاستبيان يقيم هيومانا كل سؤال ويستخدم نظام تقييم مكون من أربع درجات: نعم بحروف إنجليزية كبيرة (YES)، ونعم بحروف صغيرة (yes)، ولا بحروف صغيرة (no)، ولا بحروف كبيرة (NO). العلامات المقابلة لكل درجة هي 3؛ 2؛ 1؛ 0.

ويعطي هيومانا وزنا أكبر لبعض الانتهاكات، فالتهديد مثلا له درجات من الشدة. في حال حصول هيومانا على معلومات ناقصة، يعد تقريرا موجزا عن البلد المعني. وضع هيومانا هذه الفئة من التصنيف ليمكنه أن يغطي الدول التي توفرت حولها بعض المعلومات «ولكنها لا تشمل البنود المحددة في الاستبيان» (ص 4). الدرجات ضمن هذه الفئة هي «حسن» مقابل علامة تبلغ 75 في المئة أو أكثر؛ «ضعيف» لعلامة بين 75-41 في المئة؛ وسيء لعلامة أقل من 40 في المئة.

يظهر الأردن في فهرس هيومانا ضمن الدول التي كتب عنها تقريرا موجزا، والدرجة التي منحها له هي «ضعيف» (ص 150). يذكر هيومانا (ص 150) أربعة أسباب لهذا التقييم: (أ) «سلطة الملك المطلقة»؛ (ب) «النزاع المستمر مع إسرائيل»؛ (ج) «تطبيق الشريعة الإسلامية على جوانب كثيرة من الحياة الاجتماعية والشخصية»؛ (د) «أقلية مهمة من الفلسطينيين، أكثر من ربع السكان، لا تزال تسبب عدم الاستقرار».

ويشير إلى سببين إضافيين يؤثران على حقوق الإنسان في الأردن: (1) «الأهمية الاستراتيجية للبلد والنظام» للولايات المتحدة؛ (2) «المحافظة على سلطة الملك الحالي لها الأولوية على حقوق الإنسان» (ص 150). ليس من

الواضح لماذا يعتقد هيومانا أن الفلسطينيين في الأردن «يخلقون عدم استقرار» والنوع الذي قصده. ولكن بصرف النظر عن سبب اعتقاده، يطرح التدقيق الديمقراطي أسئلة عن المواطنة لتحديد مدى الاتفاق على المبدأ في الأردن. وإشارة هيومانا إلى الأهمية الاستراتيجية للبلد يتعرض لها التدقيق الديمقراطي من خلال أسئلة عن التأثير الخارجي على الديمقراطية في الأردن.

تصدر مؤسسة فريدوم هاوس (Freedom House) تقريرا سنويا تضع فيه جميع دول العالم في ثلاث فئات: حرة، حرة جزئيا، وغير حرة. يرد الأردن في التقارير السنوية المختلفة ضمن فئة حرة جزئيا. تعتبر فريدوم هاوس (2010) نفسها «صوتا واضحا للديمقراطية في جميع أنحاء العالم». وكما يوحي اسمها فهي تعتبر الديمقراطية والحرية أمرا واحدا.

يصنف سارتوري (1962، ص 281-284) الحريات في فئتين: حرية القيام بأمور، وحرية تحمي المواطن من أمور أخرى. ويرى أن الحريات الحرية السياسية تهدف إلى حماية الفرد من سلطة الدولة (ص 283). تعرّف فريدوم هاوس (2010) الحرية بأنها «فرصة التصرف بتلقائية في مجالات متنوعة خارج سيطرة الحكومة و/أو مراكز أخرى ذات هيمنة محتملة». تقييم فريدوم هاوس للحقوق المدنية والسياسية يعتمد على المعايير العالمية الواردة في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

يتكون تقييم دولة ما من تقرير تحليلي ودرجات عددية (1-7، حيث الدرجة 1 تعني أن الدولة حرة أكثر من التي تمنح الدرجة 2). العلامات التي تقابل الدرجات تحدد كالتالي: الدرجة 1 مقابل علامة 36-40؛ 2 (30-35)؛ 3 (24-29)؛ 4 (18-23)؛ 5 (12-17)؛ 6 (6-11)؛ 7 (0-5).

في فئة الحقوق السياسية، هناك ثلاثة أقسام فرعية: العملية الانتخابية؛ التعددية السياسية والمشاركة؛ وعمل الحكومة. تحتوي كل فئة على أسئلة عامة، وفي كل منها أسئلة فرعية. هناك اثنان وسبعون سؤالا، ثمانية منها اختيارية ومخصصة «للممالك التقليدية التي لا يوجد فيها أحزاب أو نظام انتخابي» ولسلطات الاحتلال. على ضوء الطريقة أعلاه، يتبين أن الرأي القائل إن الحرية والديمقراطية ليسا أمرا واحدا رأي صحيح.

قد تختار مملكة على سبيل المثال أن تكون ليبرالية وتسمح للناس بحرية التعبير، لكن الحكومة فيها غير منتخبة. ومع ذلك، فإن الطريقة والقائمة

اللتين تستخدمهما فريدوم هاوس تظهران أنها تقيم مدى ديمقراطية الدولة، ولكن فريدوم هاوس تفضل استخدام حرية بدلا من ديمقراطية وديمقراطي. أحد الأسباب المحتملة لهذا التفضيل أن للحرية دلالات أكثر إيجابية، فصفة «ديمقراطية» أضيفت إلى أسماء دول ليست كذلك، وخاصة أثناء الحرب الباردة، كما في حالة ألمانيا الشرقية واليمن الجنوبي.

وحدة الاستخبارات التابعة لمجلة الإكونوميست البريطانية تتولي تقييم الديمقراطية في دول العالم. وأصدرت «مؤشر الديمقراطية» في عامي 2007 و2008، وصنفت فيهما دول العالم في أربع فئات: (1) ديمقراطيات كاملة؛ (2) ديمقراطيات ناقصة؛ (3) أنظمة هجينة؛ (4) أنظمة استبدادية.

تعد الوحدة المؤشر وفق معايير خاصة بها، وهي تختلف عن معايير فريدوم هاوس، وترى أن تقييم الحريات السياسية والمدنية فقط، كما تفعل فريدوم هاوس ليس كافيا. اعتمدت وحدة استخبارات الإكونوميست خمسة مجالات للتقييم: (أ) العملية الانتخابية والتعددية؛ (ب) الحريات المدنية؛ (جـ) أداء الحكومة؛ (د) المشاركة السياسية؛ (هـ) الثقافة السياسية (تقرير مؤشر الديمقراطية لعام 2008، ص 2).

تضم كل فئة عددا من الأسئلة يبلغ مجموعها ستين سؤالا، أي بمعدل اثني عشر سؤالا لكل فئة. تمنح علامة لكل إجابة بحيث يبلغ مجموع العلامات في كل فئة عشر علامات. إذا بلغ معدل العلامات للفئات الخمس 8-10، تحصل الدولة على تصنيف ديمقراطية كاملة. إذا كان المعدل 6-7.9، يكون التصنيف ديمقراطية ناقصة. وإذا كان المعدل 4-5.9 يكون التصنيف دولة هجينة. إذا نقص المعدل عن 4 يكون التصنيف دولة استبدادية (تقرير مؤشر الديمقراطية لعام 2008، ص 18).

وبالنسبة لنظام العلامات التي تمنح على الإجابات عن الأسئلة الستين، تستخدم الوحدة نظاما من علامتين، وآخر من ثلاث. في النظام الأول تعطى العلامة 1 للإجابة عن السؤال بنعم، وصفر في حالة لا. في الكثير من الأسئلة يتم منح نصف علامة لان الأسئلة تتعلق بـ«مناطق رمادية». تقول وحدة استخبارات الإكونوميست إن نظام التقييم هذا لا يخلو من المشكلات، ولكنها تعتبره أفضل من نظامي 1-5 أو 1-7.

يظهر الأردن في مؤشر عام 2007 في المرتبة 113 نتيجة حصوله على المعدل 3.92 نقطة. وفي عام 2008، انخفضت المرتبة إلى 117، ولكن المعدل كان أفضل بقليل من معدل السنة السابقة، وبلغ 3.93. انخفاض المرتبة يشير إلى حدوث تحسن في دول أخرى أدى إلى التفوق على الأردن الذي بقي وضعه كما هو على أساس المعدل. في مؤشر عام 2010، حصل الأردن على المركز 117، وكان المعدل 3.74، وصنف الأردن ضمن فئة الأنظمة الاستبدادية.

مؤسسة بوليتي 4 (Polity IV) مشروع يرصد «خصائص النظام السياسي والتحولات، 1800-2008». بوليتي من الجهات التي تعتمد طريقة مختلفة في التقييم وتركز على أربعة مجالات (2009): (ا) السمات الرئيسية لتولي المناصب التنفيذية؛ (ب) القيود المفروضة على السلطة التنفيذية؛ (جـ) التنافس السياسي؛ (د) التغييرات في السمات المؤسسية للسلطة الحاكمة.

وفقا لـبوليتي (2009)، فإن «منهجيتها المفاهيمية فريدة». وتعزو ذلك إلى فحصها «السمات المصاحبة للسلطة الديمقراطية والاستبدادية في مؤسسات الحكم». تستخدم بوليتي مقياسا يتألف من 21 نقطة، تتراوح بين 10- (الملكيات الوراثية) وحتى 10+ (الديمقراطيات الراسخة). العلامة التي تمنح لكل دولة تؤدي إلى إدراجها ضمن ثلاث فئات: حكم استبدادي (من 10- وحتى 6-)؛ حكم هجين (من 5- وحتى 5+)؛ وحكم ديمقراطي (من 6+ وحتى 10+).

بالنسبة إلى الأردن، تظهر بيانات بوليتي منذ عام 1946 أن الأردن لم يبلغ قط عتبة تصنيف الحكم الديمقراطي. تظهر في البيانات ذروتان قربتا الأردن من تصنيف حكم هجين. الذروة الأول كانت في 1957/1956، عندما تولى سليمان النابلسي رئاسة الحكومة لكونه زعيم الحزب الوطني الاشتراكي الذي حصل على أكبر عدد من المقاعد في مجلس النواب في انتخابات عام 1956. ويبدأ الاتجاه نحو الذروة الثانية في عام 1984 وتبلغ أعلى ارتفاع من عام 1992 وحتى 2006، ثم تعود إلى الانخفاض ثانية.

سلط كنعان ومسعد (2010) الضوء على العوامل السياسية والاقتصادية التي جعلت بوليتي ترفع درجة تقييم الأردن أو تخفضها (ص 87-112). وقالا إن الأردن «مثل معظم الدول العربية، عانى من الحكم الاستبدادي المستمر». وفسرا «مقدرة الملكية الأردنية على إعاقة الإصلاحات السياسية الحقيقية باستخدام حوافز ووسائل مختلفة ممولة إلى حد كبير من الواردات العامة

الريعية (بلا ضرائب) وذلك لاستقطاب النخبة والطبقة الوسطى، وبالاعتماد على الدول الغربية» (ص 111).

ينشر مركز الدراسات الاستراتيجية في الجامعة الأردنية تقريرا سنويا عن حالة الديمقراطية في الأردن. يعتمد التقرير على استطلاع للرأي. في عام 2007، أشارت مقدمة التقرير إلى الأهداف التالية:

> ويهدف الاستطلاع إلى معرفة توجهات المواطنين الأردنيين نحو التحول الديمقراطي في الأردن بشكل عام. ويشمل الاستطلاع قياس مستوى الديمقراطية كما يراها المواطنون، وماذا تعني الديمقراطية للأردنيين، وما هو شكل النظام السياسي الذي يرغب الأردنيون فيه، وأي نظام سياسي يرون أنه الأفضل لحل مشاكل الفقر والبطالة والفساد المالي والإداري[2].

هذه المقدمة تعتبر أن الأردن يمر في مرحلة تحول ديمقراطي. ومن الواضح أنها تعتبر تعريف الديمقراطية مسلما به، وكل أردني ملم به. ووفقا لمركز الدراسات الاستراتيجية (2008، ص 3):

> تفهم غالبية الأردنيين الديمقراطية على أنها ترتبط ارتباطا وثيقا بالحريات المدنية والسياسية، ولا يختلف هذا الفهم، في جوهره، عن مفهوم الديمقراطية في البلدان الديمقراطية المتقدمة. ومنذ استطلاع عام 1999 وحتى هذا الاستطلاع بلغ معدل الإجابات التي عرفت الديمقراطية على أنها حريات مدنية وحقوق سياسية 63% من مجموع الإجابات، وإلى جانب هذا الفهم السياسي للديمقراطية، هناك فهم سيسيولوجي يعرف الديمقراطية بربطها بالعدل والمساواة (21%) وبالتنمية الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية (12%). وهناك نسبة بسيطة تعرف الديمقراطية بالأمن والاستقرار (4%).

في الإشارة إلى الحقوق المدنية والسياسية، يبدو أن الاستطلاع يسترشد بالمعايير التي اعتمدتها فريدوم هاوس. منهجية التدقيق الديمقراطي لا تترك تعريف الديمقراطية للسياسيين أو الشعب للأسباب التي يذكرها بيثام في فصل

آخر. المنهجية استخدمها وير وبيثام في عام 1999 لتقييم الديمقراطية في بريطانيا عندما كان توني بلير رئيس الحكومة، وبالتالي لا تفترض المنهجية مقدما أن بلدا كبريطانيا يعتبر ديمقراطيا ولا يحتاج إلى تقييم.

اعتمد استطلاع الرأي الذي أجراه مركز الدراسات الاستراتيجية على انطباعات المستجيبين لا على معايير محددة. لذلك، رغم أن تقارير المركز قيّمة، إلا أنها لا تقدم تقييما معتمدا على معايير متعارف عليها. من الأمثلة على ذلك مقارنة الديمقراطية في الأردن مع دول أخرى:

> وعند مقارنة مستوى الديمقراطية في الأردن مع دول أخرى، نجد أن الأردنيين يقيمون الولايات المتحدة الأميركية وإسرائيل على أنهما ديمقراطيتان [...] ويقيمون السعودية، وسورية، وفلسطين، والعراق على أنها دول غير ديمقراطية. وبقي هذا التقييم متسقا مع التقييمات السابقة لمستوى الديمقراطية في هذه الدول منذ عام 1999 [...] وحتى 2006.

في المقابل، يدرج مؤشر الديمقراطية الذي تعده وحدة استخبارات الإكونوميست (2007) فلسطين في الفئة الهجينة [مزيج من الديمقراطية والاستبداد] (ص 4). تقييم مركز الدراسات الاستراتيجية لمستوى الديمقراطية في الأردن أكثر سخاء من التقييمات الأخرى المشار إليها أعلاه. ولهذا السخاء تفسيران. رغم حرص المركز على كونه مركزا مستقلا، إلا أنه يعمل في بيئة مطلوب فيها إظهار الولاء للأردن. ولا يشير المركز إلى المعايير المستخدمة في الوصول إلى ذلك الاستنتاج. استطلاعات الرأي ليست وسيلة موثوقة لتقييم مستوى الديمقراطية في أي دولة من دول العالم، بما في ذلك الأردن.

قياس الديمقراطية: نقد للطرق

يستعرض كلغ وستارمرووير (1996) طرقا مختلفة تستخدم في تقييم «الحريات والحقوق السياسية» ويعتبرونها «غير مرضية». ويعتبرون المقاربات الكمية والنوعية لدراسات حقوق الإنسان «غير ملائمة». فيما يتعلق بالطريقة التي اعتمدتها فريدوم هاوس، يقول كلغ وستارمر ووير إن «المؤشر المستخدم في تقييم الحريات واسع جدا ويستند جزئيا فقط إلى المعايير الدولية

لحقوق الإنسان [...] وبالتالي، يتبقى الكثير لتقدير «الخبير» المستقل المكلف بالإجابة عن هذه الأسئلة» (ص 14). أحد الأمثلة لتبرير هذا التحفظ يتعلق بقياس «استقلال المحاكم».

يشمل كلغ وستارمرووير في هذا النقد منهجية هيومانا، ويقولون إنه «لا يقدم الكثير من المعلومات عن بروتوكوله للترميز». ويبدون ملاحظة صحيحة مفادها أن «التقييم النهائي» يقوم به «هيومانا نفسه». ويستعرض كلغ وستارمر ووير جوانب نقدهم للمنهجية الكمية. ويأخذون على سبيل المثال عدد المظاهرات المحظورة، ويقولون إن السؤال عنها «يمكن أن يكون مضللا» في غياب «إشارة إلى النشاط السياسي السائد في البلاد» (ص 15). كذلك، لا تكشف المقاربة الكمية المستويات المختلفة للتعذيب.

ويوجه المؤلفون الثلاثة نقدا مماثلا للمقاربة النوعية. فمع أنهم يشيدون بمنظمة العفو الدولية لأنها تصدر التقارير «الأكثر موثوقية»، يشيرون إلى أنها «تمتنع عن منح درجات أو تقييم الحكومات على أساس سجلها في مجال حقوق الإنسان» (ص 15). ينطبق هذا النقد في رأيي على الطريقة التي يتبعها دايموند ومورلينو (2004) اللذان وضعا معايير لتقييم «جودة الديمقراطية». وهما يعترفان بأن مفهومهما «موضوع محمل بالقيم وبالتالي مثير للجدل» (ص 1). يتضمن تعريفهما للديمقراطية أربعة عناصر: حق التصويت لجميع البالغين؛ انتخابات تنافسية متكررة حرة ونزيهة؛ أكثر من حزب سياسي يعتد به؛ ومصادر بديلة للمعلومات (ص 3).

ويقولان إن الجودة في «قطاعي الصناعة والتسويق يشار إليها في ثلاثة سياقات: الإجراء والمحتوى والنتيجة» (ص 4). على هذا الأساس، فإن تعريفهم لجودة الديمقراطية هو «الديمقراطية التي توفر للمواطنين درجة عالية من الحرية والمساواة السياسية والسيطرة الشعبية على السياسات العامة وصانعي السياسات من خلال العمل الشرعي والقانوني للمؤسسات المستقرة» (ص 4).

بعد الحديث عن تعريفهما للديمقراطية والجودة، ينتقل دايموند ومورلينو إلى «تحديد ثمانية أبعاد تتفاوت على أساسها جودة الديمقراطية»، وهي سيادة القانون؛ المشاركة؛ المنافسة؛ المحاسبة العامودية؛ المحاسبة الأفقية؛ احترام الحريات المدنية والسياسية؛ التنفيذ التدريجي لمساواة سياسية أكبر (مدعومة بمساواة اجتماعية وسياسية)؛ والاستجابة (ص 5).

وفي رأيهما أن «تحليل الديمقراطية الجيدة يجب أن يستبعد الأنظمة الهجينة أو «الاستبدادية الانتخابية» (ص 3). إذا رغب المرء في استخدام معاييرهما لتقييم الديمقراطية في الأردن فعليه أن يبدأ بحكم مسبق، فإذا كان نظام الحكم في الأردن هجينا، فالديمقراطية فيه ليست جيدة. وإذا اعتبر الأردن دولة ديمقراطية، يمكن للمرء أن يبدأ في استخدام الأبعاد الثمانية لتقييم جودة ديمقراطيته. هذا المثال يوضح سبب كون التدقيق الديمقراطي خيارا أفضل، فهو لا يبدأ بحكم مسبق، بل يتم الحكم بعد إتمام التدقيق.

منهجية التدقيق الديمقراطي

ما هو التدقيق الديمقراطي؟ في تعريف ديفيد بيثام (1994، ص 25) «إنه المشروع البسيط ولكن الطموح لتقييم حالة الديمقراطية في بلد واحد».

المهمة ليست بسيطة أبدا، خاصة عندما ينظر المرء إلى الموارد المحدودة المتاحة لباحث واحد. عندما خطرت فكرة التدقيق الديمقراطي في بال بيثام، كان من الضروري تحديد «مواصفات لما يجب تدقيقه بالضبط»، وأن تكون هناك «معايير لتكون علامات قياس»، يتم التدقيق وفقها (ص 25).

رفض بيثام بعض المعايير المحتملة، أولها تقييم الديمقراطية «وفق المعايير التي يدعي الممارس [السياسي] أنه يسترشد بها». معيار آخر هو «القيم الضمنية في النظام السياسي». المعيار الثالث هو «ما يفهمه المواطنون أنفسهم أنه الديمقراطية» (ص 26). اعتماد المعيارين الأولين يعني قبول أن النظام ديمقراطي في حين أن هدف التدقيق تقييم مدى ديمقراطيته (بيثام 1994، ص 26).

والمعيار الثالث رفضه بيثام لأن «سوء استخدام مصطلح» الديمقراطية «في اللغة الشعبية جعله يعني أي ترتيبات سياسية تحظى برضا الشخص عنها، وأصبح خاليا من أي مرجعية موضوعية» (ص 26). كذلك، فإن اعتماد المعيار على «المؤسسات والإجراءات القائمة في الأنظمة السياسية الغربية» له عيبان: الأول أنه «لا يوجد سبب لوصف هذه المؤسسات بأنها «ديمقراطية» بدلا من «ليبرالية» أو «تعددية» أو «بولي آركية» [الحكم المتعدد] أو أي مصطلح آخر نريده.

مصطلح «الحكم المتعدد» (بولي آركي) استخدمه دال (1989) واعتبره أعلى مستوى من الديمقراطية. وفق مواصفات دال، للحكم المتعدد سمتان رئيسيتان، الأولى مواطنة واسعة النطاق لتشمل نسبة عالية نسبيا من السكان البالغين. والسمة الثانية، حقوق المواطنة، وهذه تشمل معارضة أعلى المسؤولين في الحكومة والتصويت على إزاحتهم من مناصبهم. ويتطلب الحكم المتعدد وفق تصور دال له سبعة أمور: (1) مسؤولين منتخبين. (2) انتخابات حرة ونزيهة. (3) حق الاقتراع الشامل. (4) الحق في الترشح للمناصب الرسمية. (5) حرية التعبير. (6) معلومات بديلة. (7) تمتع الجمعيات بالإدارة الذاتية (ص 220).

أعود الآن إلى مناقشة بيثام لمعايير التدقيق الديمقراطي، فمن الأسباب الأخرى لرفضه «ما يفهمه المواطنون أنفسهم أنه الديمقراطية» هو الاحتمال القوي أن يؤدي تطبيق هذا المعيار إلى توجيه الاتهام بأن المفهوم «أوروبي-مركزي» لأنه لا يقدم طريقة للتمييز بين «المؤسسات والإجراءات غير الغربية التي وفرت طرقا بديلة حقيقية لتحقيق الديمقراطية» (ص 26).

المركزية الأوروبية

قبل الاستمرار في استعراض رد بيثام على الاعتراضات التي يمكن إثارتها فيما يتعلق بالتدقيق الديمقراطي، أود مناقشة التهمة التي توجه في كثير من الأحيان للمفاهيم والحجج، أي أنها أوروبية مركزية. وفق تعريف سمير أمين (1989، ص 7):

> الأوروبية-المركزية هي ظاهرة ثقافية بمعنى أنها تفترض وجود ثوابت ثقافية مميزة لا يمكن اختزالها تشكّل المسارات التاريخية للشعوب المختلفة. المركزية الأوروبية بالتالي معادية للعالمية، لأنها غير مهتمة بالبحث عن قوانين عامة محتملة للتطور البشري. لكنها تقدم نفسها على أنها عالمية، لأنها تدعي أن تقليد النموذج الغربي من قبل جميع الشعوب هو الحل الوحيد لتحديات عصرنا.

فيما يتعلق بالدمقرطة في العالم العربي، يرى الصديقي (2009) أن «النماذج الأوروبية المركزية، لا سيما الدمقرطة، لا تنطبق بسهولة على التجارب الديمقراطية العربية» (ص 10). ويشير إلى أن «الطرق والمفاهيم الأوروبية المركزية عصية على النقل» (ص 11). يقيم الصديقي تجارب الدمقرطة في العالم العربي «من خلال عدسة ضد-الأسسية» (ص 7). ويقول إن «علم الوجود القائم على ضد-الأسسية يعترف بأن الدمقرطة الأوربية-الأميركية هي وظيفة زمن، وهناك حاجة إلى معرفة محددة السياق لقراءة الانتقال الديمقراطي العربي» (ص 47).

الأسسية وضد-الأسسية

قبل مناقشة آراء الصديقي، من الضروري تحديد ما هو المقصود بالأسسية، وضد-الأسسية. حسب شرح ركمور وسنغر (1992) فإن «الأسسية هي نظرية معرفيّة تهدف إلى أن تكون مستقلة عن ادعاءات علم الوجود، وهي نظرية يبرر فيها العقل ادعاءه المعرفي» (ص 6). في المقابل، ضد-الأسسية هي «نقيض أشكال الأسسية المختلفة» (ص 8). وبدقة أكبر، هي «الرفض المبدئي لأي جهد يهدف إلى التحقق من صحة ادعاءات المعرفة دون الاستناد إلى أساس مطلق أو نهائي معروف على وجه اليقين، سواء أكان اليقين لا يمكن بلوغه، أو أن نموذج المعرفة كهيكل موحد يرتكز على أساس من اليقين» (ص 8).

سعيد (2004) يضع نفسه ضمن «الأسسيين الخام». وهو يرفض القبول بأن «حقوق الإنسان هي أشياء ثقافية أو نحوية»، ويقول إن انتهاكات حقوق الإنسان «حقيقية مثل أي شيء يمكن أن نواجهه» (ص 136). يلاحظ السيد (2010) أن الصديقي «يرفض الافتراضات الأساسية لمنظري الانتقال الديمقراطي، ويبحث عن اللبنات الأساسية لهيكل تحليلي آخر. غير أنه لا يكمل بناء الهيكل، ويترك هذه المهمة للمستقبل، ولكن دون أي تلميحات لشكل المبنى» (ص 185).

يعترف الصديقي (2004) بأن «ضد-الأسسية نفسها ليست فوق النقد، أو دون تحديات» (ص 57). ويشير في هذا الصدد إلى كرويل (1996) الذي يتهم مناهضي الأسسية «بإرساء أسس جديدة للفكر» (ص 57). لذلك، لا تؤدي عدسة الصديقي بالضرورة إلى تقييم أفضل للدمقرطة في العالم العربي.

هناك اتفاق في دراسات التحول الديمقراطي على أن الانتقال من الديكتاتورية يحدث من خلال مسارات مختلفة ولأسباب متنوعة. كل انتقال يتأثر بظروف واعتبارات محلية. وكما تلاحظ غيديس (2004): «كتب العديد من الدراسات الجيدة عن الانتقال الديمقراطي، ولكن القليل من التفسيرات العامة التي يطرحها الباحثون تبين أنها تنطبق على كل الحالات» (ص 2).

ومع ذلك، فإن الحكم على نموذج، أو مفهوم، أو أسلوب بأنه أوروبي-مركزي، حسب تعريف سمير أمين للأوروبية-المركزية يجب أن يصدر وفق معايير. وإلا ستكون هناك نزعة لرفض شامل لكل ما هو أوروبي وغربي. ويبدو لي أن الأوروبية-المركزية تحولت إلى تهمة سهلة لرفض الأفكار والمفاهيم والحجج. وتبدو شكلا من أشكال الاستغراب ردا على الاستشراق.

معايير عالمية أم خاصة بكل ثقافة؟

الجدل حول الأوروبية-المركزية له وجه آخر وهو حول معايير حقوق الإنسان: هل يجب أن تكون عالمية أم معايير خاصة بكل ثقافة؟ المعايير المستخدمة في التدقيق الديمقراطي عالمية. ليس لكل المسلمين اعتراض على هذه. يقول الغزالي (1990، ص 69):

> إن الديمقراطيات الغربية إجمالا وضعت ضوابط محترمة للحياة السياسية الصحيحة، وينبغي أن ننقل الكثير من هذه الأقطار لتسد النقص الناشئ عن جمودنا الفقهي قرونا طويلة. وقد قلت وما زلت أقول: إننا أغلقنا باب الاجتهاد قرابة ألف عام، فإذا سبقنا غيرنا في شؤون إنسانية مطلقة، فلا معنى لابتداء السعي من حيث وقفنا متجاهلين كدح غيرنا نحو الكمال!

رأي كهذا يقودني إلى اعتبار رفض الصديقي انطباق المفاهيم الأوروبية والغربية على الدول العربية وغيرها رفضا في غير محله. الأفكار العربية أو الإسلامية أو الهندية أو الصينية أو غيرها لا يجوز رفضها على أساس كونها أفكارا خاصة بثقافة معينة. تبادل التلاقح ظاهرة صحية.

رغبة بيثام في تجنب تهمة الأوروبية المركزية تستحق الثناء، إلا أنه لا يمكن تفاديها حتى لو حاول المرء ذلك جاهدا. الأمر نفسه ينطبق على الحجج

المتعلقة بعالمية الحقوق والمعايير الأخرى. طالما بقيت أوروبا (أو الغرب بشكل عام) أكثر تطورا، فإن شيئا من الأوروبية-المركزية لا يمكن تفاديه.

الدول الساعية إلى تطوير أوضاعها تحاكي الغرب إلى حد كبير رغم محاولات الحفاظ على هوية ثقافية فريدة. لو نظرنا إلى حالة الصين كمثال على أن التحديث لا يعني التغريب، فإن هذا المثال صحيح جزئيا. إذا فهم التغريب بمعنى سطحي، مثل ارتداء الملابس الغربية، والاستماع إلى الموسيقى الغربية، وتناول الوجبات السريعة الغربية، فسوف أتفق مع الرأي الذي يرى أن الشعب الصيني قد يرغب في الاحتفاظ بما يفضله من أذواق وأساليب.

ولكن إذا وسع نطاق هذا الرأي ليشمل القول إن الشعب الصيني يفضل الحريات المحدودة، فعندئذ لا أتفق معه. الناس في جميع أنحاء العالم، بغض النظر عن العرق والدين والثقافة، يحبون الحرية.

أحد الاعتراضات على التدقيق الديمقراطي هو «طابع ونوعية الديمقراطية في بلد ما لا يمكن تقييمهما من خلال قائمة من المعايير التي تعتبر مستقلة عن بعضها بعضا» (بيثام 1994، ص 31). أساس الاعتراض هو أن «نظاما سياسيا ما يعمل من علاقات معقدة بين مختلف المؤسسات والممارسات» (ص 31). يوافق بيثام على صحة الاعتراض ولكنه يقول إنه «لا يترتب على ذلك تخلينا عن تبني معايير عامة لتقييم ممارسات مختلفة في دول أو نظم سياسية مختلفة» (ص 31).

هناك اعتراض آخر يتعلق بـ«ما إذا كان من المناسب للأكاديميين المشاركة في مثل هذه الممارسة القائمة صراحة على التقييم وإصدار الأحكام» (ص 35). يشرح بيثام (1994، ص 35) أن مشاركة من هذا القبيل لا تعتبر مشكلة في كل المجالات الأكاديمية، لأن «الذي يعملون في مجال النظرية السياسية المعيارية يواجهون صعوبة أقل في هذا الشأن مقارنة بالذين يعملون بشكل رئيسي في العلوم السياسية التحليلية والاستكشافية».

ويضيف بيثام: كل مؤشرات الديمقراطية «قائمة بالضرورة على التقييم وإصدار الأحكام» (ص 35). اختيار درجة من سلم درجات أمر ينطوي على إصدار حكم، وخاصة عندما تصبح الأحكام دليلا يستخدم في السياسة الخارجية لبلد تجاه آخر. وليس من غير المعقول أن تسأل الدول التي تدمغ بحكم الدولة التي أصدرت الحكم إن كانت مستعدة لأن تُقيم باستخدام معايير مماثلة.

وبعد أن يفرغ بيثام من شرح ما للتدقيق الديمقراطي وما عليه، يحدد ثلاثين مؤشرا للديمقراطية. وتم تطوير الأسئلة بعد التعاون مع المؤسسة الدولية للديمقراطية والانتخابات، التي يبلغ عدد الأسئلة في استبيناها تسعين سؤالا.

رغم رد بيثام على الاعتراضات المختلفة، فإن الجدل حول المعايير التي يجب استخدامها يستحق إجراء المزيد من المناقشة، خاصة فيما يتعلق بما إذا كان يجب أن تكون هناك حقوق عالمية. أحد الانتقادات الموجهة إلى المعايير العالمية هو أن «فيها تحيزا ليبراليا غربيا» (هيومانا 1987، ص 5).

يتفق هيومانا مع الملاحظة ويؤكد أنها «حقيقية لا يمكن إنكارها». ولكنه يقول إن الدول التي تنضم إلى الأمم المتحدة تفعل ذلك طواعية. ويشير إلى أنه حتى بعد فعل ذلك، لا تزال هناك فجوة بين النظرية والممارسة. ويذكر، على سبيل المثال، الدول الإسلامية التي انضمت إلى الأمم المتحدة، ومع ذلك فإنها تعطي «دينها وتقاليدها الأولوية على واجبها تجاه الأمم المتحدة، وهذه حقيقة لا خلاف عليها» (ص 5).

وتعارض موف (2008) نهج العالمية. وتؤيد وجود «نوع من التعددية دافع عنه كارل شميت» الذي «أصر على أن العالم متعدد الأكوان وليس كونا واحدا». وتفضل نظاما عالميا متعدد الأقطاب لأن في ذلك حماية من الهيمنة.

هذا أمر جيد لو كان صحيحا. من المرجح جدا أن يتم في عالم متعدد الأقطاب تقاسم الهيمنة بين القوى الكبرى، وأن تمارس في مناطق نفوذ كل منها. هكذا كان الوضع قبل أن يصبح العالم ثنائي القطب أثناء الحرب الباردة. أميركا اللاتينية كانت مخصصة للهيمنة الأميركية. وبريطانيا وفرنسا اتفقتا على الأراضي التي تريدان استعمارهما في الشرق الأوسط وأفريقيا وآسيا.

الاتجاه العام لرأي موف سليم. ولكن عندما يتعلق الأمر بجوانب محددة، تصبح نظرتها إشكالية، وخاصة عندما تناقش حقوق الإنسان، فهي تقول: «هناك شيء إشكالي حول فكرة حقوق الإنسان التي يجب قبولها من جميع الثقافات» (ص 454). قال شميت ([1929] 2007): «لا يمكن للكيان السياسي أن يكون عالميا بمعنى احتضان البشرية جميعها والعالم كله» (ص 53).

ولكن المعيار العالمي لحقوق الإنسان لا يعني كيانا سياسيا يضم البشرية جميعها والعالم كله. إضافة إلى ذلك، يشير شميت إلى نقطة صحيحة وهي أن: «مفهوم الإنسانية أداة أيديولوجية مفيدة بشكل أساسي للتوسع الإمبريالي.

وفي شكله الأخلاقي-الإنساني، هو وسيلة محددة للإمبريالية الاقتصادية» (ص 54).

أتفق معه على أن مفاهيم مثل الحرية والديمقراطية والإنسانية وحقوق الإنسان تستخدم كأدوات أيديولوجية للتوسع الإمبريالي والإمبريالية الاقتصادية. ولكني أتفق فقط عندما أفحص الداعي إليها. عندما يكون جورج بوش الابن هو الرسول، فإن خطابه عن الحرية أو الديمقراطية أو حقوق الإنسان تنقصه المصداقية. عندما يكون الرسول الملايين من الناس الذين عارضوا الحرب على العراق في عام 2003، أجد في مفهوم الإنسانية أمرا حقيقيا يستحق أن يحتفى به.

في رأيي أن حجة موف بشأن تعدد الأقطاب تعاني من خلل. كم يجب أن يكون عدد الأقطاب؟ ثلاثة؟ سبعة؟ ولماذا أي رقم محدد؟ وبالنظر إلى تعدد الثقافات في العالم، كم يجب أن يكون عدد معايير حقوق الإنسان الخاصة بالثقافات؟ من المفيد هنا التذكير بما قاله سعيد (2008) ردا على هنتنغتون بخصوص الثقافات (الحضارات)، أي أن الثقافات ليست مغلقة ومعزولة وأنها على مر التاريخ شهدت التبادل والتلاقح والمشاركة.

تجدر الإشارة إلى أن موف (2008) ترى أن «الجاليات المختلفة» لا ينبغي السماح لها «بتنظيم نفسها وفقا لقوانينها» إذا كانت هذه القوانين «تتعارض مع الأساسيات الدستورية» (ص 463). رغم اتفاقي مع هذا الرأي، إلا أنني أرى أنه يقوض رأيها الذي ناقشته أعلاه بشأن التعددية.

الخلل في حجة المعترضين على عالمية المعايير يكمن في أن النية حسنة، ولكن نتائجها ليست كذلك. هؤلاء المنظرون لا يتلفتون إلى النقاشات التي تجري في أوساط كل ثقافة حول ما يجب الاحتفاظ به منها، وما يجب تغييره. حتى المنظرون الذين يحاولون تجنب الأوروبية-المركزية من خلال إظهار الاحترام للثقافات الأخرى يخفقون في الاطلاع على الآراء والنقاشات التي تجري داخل هذه الثقافات.

موقف كهذا نابع من حسن نية جعل إسبوزيتو وفول (1996) يصوران حجج المودودي المناهضة للديمقراطية بأنها نموذج إسلامي للديمقراطية. لماذا يجب أن ينظر للمودودي أو قطب وكأنهما تحدثا باسم جميع المسلمين فيما يتعلق بالديمقراطية أو مفاهيم أخرى؟

أشعر بالريبة من حجج المعايير غير العالمية، لأن استنتاجها النهائي هو أن الناس من العرق غير الأوروبي لا يستحقون هذه الحقوق. وحجج رفض المعايير العالمية يفضلها الحكام الاستبداديون لإدامة بقائهم في السلطة. مفاهيم الحداثة وحقوق الإنسان والديمقراطية لا يمكن أن تصادرها أوروبا أو الغرب أو العالم اليهودي المسيحي.

لا أشك في أن بعض الباحثين يقدمون حججهم بدافع التعاطف مع طموحات الشعوب الأخرى في أن تكون مختلفة، وبدافع مناهضة خطاب الهيمنة. ولكن حق الإنسان وفق معيار عالمي لن يجعل الشعب الصيني أوروبيا أو غربيا. ولن يجعل الأردني غير أردني. من وجهة نظري، هناك سبب أفضل لاختيار معيار عالمي. هو يعني ضمنا أن كل الناس في كل أنحاء العالم يعتبرون متساوين وجديرين بذات الحقوق.

الحجج المعترضة على وجود خيار عالمي لحقوق الإنسان غير سليمة لأنها تفتح الباب لانتهاك الحقوق. هذه الحجج تصبح وجيهة لو كانت المعايير الخاصة بكل ثقافة أرقى من العالمية. عندما كان العالم الإسلامي أكثر تسامحا مع المسيحيين واليهود، اختار بعض يهود إسبانيا العيش في العالم الإسلامي. في ذلك الوقت، كان يمكن القول إن المعايير الإسلامية لحقوق الإنسان كانت أعلى من معايير إسبانيا، ولذلك كان من الطبيعي أن يميل الناس إلى الذهاب إلى حيث المعايير أفضل ليعيشوا هناك.

أتفق مع الذين يختارون المعايير العالمية كأساس، ولكن دون إغفال حقيقة أن المعايير العالمية ليست مطلقة، بل مقيدة بشروط تجعلها أحيانا تبدو «عديمة القيمة». كمثال على ذلك يستشهد بيثام (2004) بالمادة 10 من الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان ويشير إلى الجزء الأول الذي يدعم حرية التعبير:

(1) لكل إنسان الحق في حرية التعبير. هذا الحق يشمل حرية اعتناق الآراء وتلقي وتقديم المعلومات والأفكار دون تدخل من السلطة العامة، وبصرف النظر عن الحدود الدولية، وذلك دون إخلال بحق الدولة في أن تطلب ترخيص نشاط مؤسسات الإذاعة والتلفزيون والسينما.

أما الجزء الثاني من المادة فيذكر قيودا عديدة:

(2) هذه الحريات تتضمن واجبات ومسؤوليات. لذا يجوز إخضاعها

لشكليات إجرائية، وشروط، وقيود، وعقوبات محددة في القانون حسبما تقتضيه الضرورة في مجتمع ديمقراطي، لصالح الأمن القومي، وسلامة الأراضي، وأمن الجماهير وحفظ النظام ومنع الجريمة، وحماية الصحة والآداب، واحترام حقوق الآخرين، ومنع إفشاء الأسرار، أو تدعيم السلطة وحياد القضاء.

ويقول بيثام (2004) عن هذه المادة: «عندما تعطي الطلبة النص لقراءته معظمهم يقول إن هذا الحق لا قيمة له»[3]. وبعبارة أخرى، حيث تعتبر معايير الحقوق عالمية، لا يزال التمتع بها دون قيود نضالا لم يتوقف بعد.

بالاعتماد على التدقيق الديمقراطي، وضع كلغ وستارمر ووير (1996) مؤشرا لحقوق الإنسان، ومبررهم لذلك أن «الحقوق والحريات السياسية تتمتع بحماية خاصة في المعاهدات الدولية لوجوب إخراجها مبدئيا من المتاجرة اليومية في السياسة «(ص 309). وبناء على ذلك، أعد كلغ وستارمر ووير استبيانا معتمدا على صكوك الأمم المتحدة، وهي الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والعهد الدولي الخاص بالحقوق الاجتماعية والثقافية، والعهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية.

معايير إسلامية؟

قبل أن أختتم المناقشة حول المعايير التي يجب استخدامها، سأحاول تحديد بعض المعايير الإسلامية، ومناقشة ما إذا كان يمكن أو يجب استخدامها في التدقيق الديمقراطي.

يوفق أبو الفضل (2004)، بين الديمقراطية والإسلام، ويحدد «مجموعة من القيم الاجتماعية والسياسية التي تعتبر مركزية في نظام سياسي مسلم» (ص 5). القيمة الأولى «السعي إلى العدل من خلال التعاون والمساعدة المتبادلة»؛ والثانية «تأسيس طريقة حكم استشارية غير فردية»؛ والثالثة «مأسسة الرحمة والرأفة في التفاعل الاجتماعي» (ص 5).

هل يمكن استخدام القيم الإسلامية التي حددها أبو الفضل في التدقيق الديمقراطي؟ إحدى الإجابات الممكنة هي أنها قد أدرجت بالفعل دون تصنيفها كقيم إسلامية، لأن أبو الفضل، بعد التوفيق بين الديمقراطية والإسلام، يخلص إلى أن الديمقراطية «توفر أقصى إمكانية لتعزيز العدالة وحماية الكرامة

الإنسانية دون أن تجعل الله مسؤولا عن الظلم أو إذلال البشر» (ص 5-6).

الإجابة الممكنة الثانية هي أن هناك حاجة لمعايير لقياس هذه القيم. الرد الثالث هو أنه عندما تحدد المعايير، سيكون أمرا حسنا القيام بتدقيق ديمقراطي ذي معايير إسلامية.

بعد تحديد هذه المعايير، سيصبح هناك أساس لمطالبة بيثام وغيره بإعادة النظر في معاييرهم لتأخذ في الحسبان المعايير الإسلامية وغيرها. لذلك، لا يجوز لي في هذا التدقيق الديمقراطي المتعلق بالأردن أن أخلط المعايير، فهذا غير سليم منهجيا وتطبيقيا.

= = =

الهوامش

[1] ورقة مقدمة إلى الجمعية الإحصائية الأميركية.

[2] التقارير متوفرة في موقع المركز بصيغة إلكترونية.

[3] ورقة منشورة بصيغة إلكترونية دون رقم صفحات.

للتواصل مع «عـود الـنـد»

أفضل وسيلة للتواصل مع «عود الند» فعل ذلك من خلال موقع المجلة.

www.oudnad.net

يمكنك التواصل مع المجلة بزيارة صفحاتها في مواقع التواصل الاجتماعي:

فيسبوك: oudalnad :: :: :: تويتر: oudalnad

عـود الـنـد: مواعيد صدور الأعداد القادمة

=1= ربيع 2019: مطلع آذار (مارس) 2019.
=2= صيف 2019: مطلع حزيران (يونيو) 2019.
=3= خريف 2019: مطلع أيلول (سبتمبر) 2019.

راجع/ي مادتك أكثر من مرة قبل إرسالها للتأكد من سلامة اللغة، ومراعاة أحكام الطباعة، واستخدام علامات التنقيط (الترقيم) استخداما صحيحا، وتوثيق المراجع توثيقا منهجيا كاملا. «عـود الـنـد» تنشر المواد الجديد فقط المرسلة للنشر الحصري في المجلة. لا ننشر مواد نشرت من قبل في مطبوعة أو أي موقع آخر، بما في ذلك المدونات الشخصية، أو المنتديات أو فيسبوك. يتعهد الراغبون في النشر في المجلة بعدم إرسالها للنشر في مكان آخر، وبعدم الموافقة على إعادة نشر الموضوع دون موافقة «عـود الـنـد».

لوحة الغلاف

تماثيل هندية

مجلة عود الند الثقافية. غلاف العدد الفصلي الحادي عشر. شتاء 2019. الغلاف صورة لتمثال يزين معبدا هندوسيا في لندن. يجسد التمثال الرجل والمرأة في جسم واحد. معالم الرجولة ظاهرة في اللحية الطويلة. ومعالم الأنوثة في الصدر.



«عـود الـنـد» فـي سـطـور

- صدر العدد الأول من مجلة «عـود الـنـد» الثقافية مطلع شهر حزيران (يونيو) 2006. وصدرت شهريا عشر سنوات متالية.
- حصلت «عـود الـنـد» من المكتبة البريطانية على رقم التصنيف الدولي للدوريات في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) 2007. الرقم الخاص بـ«عـود الـنـد» هو: ISSN 1756-4212
- شارك في «عـود الـنـد» كاتبات وكتاب محترفون ومبتدئون من الدول العربية والمهجر.
- بعد اتمام العام العاشر، وصدور 120 عددا شهريا، تقرر تحويل المجلة إلى فصلية.
- ناشر المجلة د. عدلي الهواري. له مجموعة من الكتب، من بينها:
    - **بيروت 1982: اليوم «ي»؛ تقييم الديمقراطية في الأردن؛ اتحاد الطلبة المغدور؛ بسام يبتسم؛ كلمات عود الند؛** واثنان بالانجليزية عن مدى توافق الديمقراطية والإسلام وما يسمى الإسلام السياسي.

www.oudnad.net